
خواطر مسلم
في المسألة
الجنسية
بقلم
محمد جلال كشك

خواطر مسلم فى المسألة الجنسية

محمد جلال كشك

خواطر مسلم في المسألة الجنسية

- جلد عميرة وعامرة
- الملاعبة دون المواقعة
- الزنـــا
- الشذوذ الجنسي
- غلمان الجنة

الطبعة الأولى

١٩٨٤

تصميم الغلاف :
الفنان عبدالسلام الشريف

وردـــ سـهـواـــ بـعـض الأخطاء فى عدد من الآيات ، وهذا ثبت بصحيح الآيات ، غفر الله لنا وللقارىء الكريم الذى يتفضل بتصو يبها قبل القراءة .

الصفحة	نص الآية	من سورة
١٣	« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . . »	الأعراف
٢١	« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا ونساء »	النساء
٣٣	« وطَفِقَا » بكسر الفاء وليس بفتحها	طه
٥٤	« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . . »	النور
٥٨	« أتين » بالهمزة وليست بالمد	النساء
٦٢	« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم . . »	البقرة
٦٥	« فأتوهن من حيث أمركم الله . . . »	البقرة
٧٥	« ما سبقكم بها من أحد من العالمين »	الأعراف
٧٦	« إنكم لتأتون الرجال شهوة . . . »	الأعراف
١٤٣	« إنكم لتأتون الرجال شهوة . . . »	الأعراف
١٤٤	« وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون في ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم مانريد » .	هود
١٤٧	« فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود »	هود
١٥٥	« . . . و يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوار يرا ● قوار يرا . . . »	الإنسان

الاهــــداء :

« قالوا أيأتى أحدنا شهوته فيثاب عليها ؟

قال نعم ..... » الحديث

صلوات الله عليه وسلامه

خطبة الكتاب

هـذا بحـث سيقول القارىء المحب ، ما كان أغناه عنه ، لماذا لم يقل مثلما قال أبـو حـنيفة ، عندما دعوه للقضاء لعله ينصر مظلوما أو يقر حقا ، فاعتذر قائلا : اذا سقط السابح في المحيط .. فماعساه يسبح .. ؟

سيـتسـاءل القـارىء المحـب : لماذا ألقينا بأنفسنا فى المحيط نخوض عبابه أو نخـاطـر بـانفسنا في مجال شديد الحساسية ، يتحرج الناس فيه من السماع ، فضلا عن القول: ويحي ! بل الاسهاب فى القول .. ؟

وسـيقول المتربص ؛ هذا هو الباحث عن حتفه بظلفه .. اشحذوا السكاكين فقد وقع الثور ..

ولـكـن شـكـرا لأحـبـائـي وللآخرين موتوا بغيظكم .. فليس على مسلم من حـرج إن فـكـر أو شـك وقـد علمنا أنه ليس فى الدين من حرج ، ولا فى العلم .. ونحـن كما قلنا فى أول كتاب إسلامى لنا من دين يحرض على التفكير والاجتهاد ، فـهـو يـكـافـئ المجتهـد المخـطىء .. ولا يـكـتفي بعدم معاقبته .. ديننا تخطى حتى مـاوصل اليه فلاسفة الحرية ، فى تعريفها بأنها حق الخطأ إذ أنه يكافئ على الخطأ فى حـديـث للـمـجتهـد إن أصـاب أجـران وإن أخطأ أجر. ولمن أراد أن يحاسبنا ، فـلـيـحتكم للقرآن والسنة والسلوك الاسلامي .. فقد التزمنا و بذلنا غاية الجهد فى استـنـبـاط الأدلـة من هذه المصادر الشرعية .. وماقصدنا الا مرضاة الله ، وخدمة المسلمين ، وماعدا ذلك فلست أبالى ..

المسألة الجنسية تشغل حيزاً لايستهان به من تفكير الانسان ، ونشاطه ، وتتحكم الى حد ما في تصرفاته بل ومواقفه .. واذا كان من الخطأ النظر للانسان كظاهرة جنسية فقط كما يفعل تجار الجنس وفلاسفة الغرب ، فإنه لخطأ أكبر ان ينظر للجنس كظاهرة عارضة أوعيب أو دنس لايجوز الاهتمام به فليس هذا من ديننا ولا من حضارتنا كما سيرى القارىء .. والمسألة الجنسية تشغل بال الشباب ، ومع ذلك فهى من المحرمات يحوم حولها الكتاب ، ولا يقتربون منها ، وخاصة الاسلاميين ، تاركين لأعداء الإسلام ، وأعداء حضارتنا الفرصة لينشروا مفاهيمهم ، و يزرعوا سمومهم فى عقول وقلوب الشباب المسلم ، الذى لم يعد يعيش لافى سلوك اسلامى ، ولافي فكر اسلامى ..

واذا كانت الآراء التى طرحتها هنا فى موضوع العادة السرية ، والجنس بغير الجماع ، والزنا ، تعد جريئة إلا أن ماطرحته في باب الشذوذ الجنسي يعتبر جديدا بالاضافة الى جزء صغير فى موضوع الزنا ، وهو القول بأن الرجم سنة ، وليس فى القرآن ، وان لله سبحانه وتعالى حكمة فى نسخ آية الرجم ، يجب أن نتدبرها لا أن نخفي رؤوسنا وراء واقعة أن النبي رجم .. فلماذا يقرر الله الرجم في القرآن ثم ينسخه ، و يأمر رسوله بحذف الآية تماما فلا تبقى ولا حتى فى صدور الرجال .. وما كان لما نسخه الله أن يبقى أو أن يتلوه الرجال ..

اقول باستثناء هذه الخاطرة فى موضوع الزنا ، فإن البحث يتركز فى موضوع الشذوذ الجنسي الذى طرحته فى اطار المواجهة الحضارية الأبدية بين الشرق والغرب ..

وهذه المواجهة هي شغلي الشاغل ، فأنا أنظر للاسلام كفلسفة وهوية وشخصية الحضارة الشرقية ، والكلمة الأخيرة في مواجهتها مع أوروبا أو الغرب .. فمنذ الصراع الفارسى ـ الاغريقي بدأ الصراع بين شرق وجنوب البحر الأبيض من ناحية وغرب وشمال هذا البحر ، ثم بدأت الدائرة تتسع ،

وتمد كل جبهة خطوطها وراءها ومن حولها .. إلى أن جاء الاسلام وانتصر الشرق على الغرب سبعة قرون أو ثمانية ، ليعود الغرب فيكر على الشرق كرة ما زلنا نعيش فى آثارها ..

وقد عالجت موضوع الشذوذ الجنسي فى اطار هذه المواجهة ، لأننى توصلت الى رأى يخالفنى فيه كثير من الباحثين ، وهو أن هذه الظاهرة ، عندما تخرج من الاطار الفردى لتصبح « فاحشة » على مستوى المجتمع ، إنما يحدث ذلك فى مرحلة الأفول الحضارى ، بعكس مرحلة التحرر أو النهوض الحضارى حيث تصبح أبشع جريمة ، ووضحنا الأسباب ، وأكدنا أنه لا يمكن أن ينهض مجتمع و يتحرر وهذه الفاحشة شائعة فيه ، كما لا يمكن أن تنجو حضارة منها عندما تنتصر وتدخل مرحلة فسق مترفيها .. وتتبعت أطوار انتقال هذه الفاحشة بين الشرق والغرب من الاغريق الى سقوط الأندلس تقريبا ..

ومن ناحية أخرى فقد توصلت الى رأى حول غلمان الجنة أو ولدانها ، وهو أنهم للاستمتاع الجنسي لمن عف وتطهر فى الدنيا ..

ونحن على استعداد للمناقشة والمراجعة والتصويب لمن جاء بأدلة مناقضة ، تستند الى القرآن والسنة ، والتصور والممارسة من جانب السلف الصالح ... أما من جاء بالسب والقذف والأحجار.. فقد نكيل له الكيل مرتين وقد نقول : سلاما ..

بقى ان نقول وقد تحدثنا عن أجر المخطىء ، أننى كنت بغرور الشباب وجهله ، قد استشهدت بهذا الحديث في أول كتاب لى فى الاسلاميات . فقلت فى المقدمة : حسبى أجر المجتهد المخطىء .. ! وفاتني روعة التعبير الاسلامى ودقته إذ حدد هذا الأجر « للمجتهد » ولم يقل « للمسلم إن فكر أو شرع فأخطأ أجر.. » بل قال للمجتهد ، لأن الاجتهاد هو عمل « المجتهد » ومن ثم فممارسته لعمله يستحق عليها المكافأة ، شرط أن يكون « مجتهدا » ومواصفات المجتهد

معروفة ، وحاشالله أن ندعي توافرها فينا ، فأنا لا أحسن اعراب آية في القرآن . فكيف أكون مجتهدا ، ولكنه غرور الشباب ونسأل الله المغفرة . كذلك كنت قد كتبت على أول كتاب عبارة « مفاهيم اسلامية » ففرضت على الاسلام آرائى أو مفاهيمي .. وقد تجنبت ذلك كله اليوم ، فلست أزعم أنها رأى الاسلام فى المسألة الجنسية ! .. ولا أنها اجتهادات ، فما أنا مجتهد ، ولا هى مفاهيم اسلامية ، انما هي خواطر مسلم ، تفكير مسلم بصوت عال ، دعوة للتفكير .. مذكرات تحضيرية يستعين بها « المجتهد » إن شاء الله في تشريع الأحكام .. اعتبروها مجرد اسئلة مطروحة عند أعتاب المجتهدين ، والأئمة ، والمنشغلين بالعمل الاسلامى ..

وبعد .. فقد بلغت من العمر عتيا واشتعل الرأس شيبا ، وخفت من انحرافات الموالى ، ولم يبق ما أخشاه ولا من أرجوه سوى الواحد القهار .. نسأله المغفرة والعفو ..

محمد جلال كشك

رجب ١٤٠٤ هـ

ابريل ١٩٨٤ م

٣ ب بهجت على الزمالك

اللذة للذة ..

تنبع أهمية المسألة الجنسية من كونها تعكس ــ من ناحية ــ مفاهيم واخلاقيات الحضارة .. التصور العام لهدف الوجود الانسانى ، والعلاقات بين طرفى هذه المعادلة الانسانية ، ولذلك نركز فى هذه الدراسة على الفارق الجوهرى أوالكيفي بين النظرة الاسلامية للجنس . ونظرة المسيحية ــ الغربية . فكلتا النظرتين تمثل موقفا حضاريا متكاملا ومتعارضا . كذلك ركزنا على دور المسألة الجنسية في المواجهة الحضارية ، وخاصة فى القسم الخاص باللواط .

والمسألة الجنسية أيضا على الصعيد الفردى ، تشغل جانبا شديد الأهمية من حياة الانسان ، كما تحكم نظرته للانسان الآخر أو الجنس الآخر، أو كما يقول الماركسيون إن كل حاجيات الانسان تشبع بعلاقة مع الطبيعة ، إلا الحاجة الجنسية فهى تشبع بعلاقة مع انسان آخر[1] .. ومن ثم فهى تخضع لقوانين وقيم مختلفة ، ولها نتائج بالغة الخطورة والأهمية على سلامة العلاقات الاجتماعية .

وقد أوضحنا منذ ١٧ سنة رأينا في موقف الاسلام من المسألة الجنسية ، وكيف أنه فعلا دين الفطرة الذى وضع الغريزة الجنسية في مكانها الطبيعي ضمن الاحتياجات المشروعة والصحية والضرورية واللذيذة للانسان ، الذى لايمكن أن يتحول إلى مجرد ظاهرة جنسية بحصر اهتمامه في هذه الناحية ،

---

١ ــ واضح أن قائل هذا متوحش ، لايعتبر الفن حاجة إنسانية وإلا .. فأين الطبيعة فى الانتشاء بصوت أم كلثوم ؟

ولايمكن أيضا تحويله الى « ملاك » بنزع الغريزة الجنسية منه .. وقلنا ان الفكر الاسلامى لايعاني أية عقدة جنسية ، بل يعتبر اللذة الجنسية من النعم التى منّ الله بها علينا ، ويميل الى أخذ أمورها ببساطة متناهية وقبل أن نشرح هذا بالتفصيل ، نود أن نوضح نقطة هنا هي الرغبة الطبيعية من قبل « رجال الدين » ـــ مثل أصحاب أية حرفة أو متخصصين ـــ ميلهم لتعقيد المهنة وتصعيب الاختصاص . ولذلك نجد الاسلام ، بسيطا واضحا سهلا في بدايته ، عندما لم تكن هناك فئة مخصوصة تحتكر تفسير النصوص واصدار الفتاوى .

تأمل هذه القصة التى تروى عن عمرو بن العاص ، وكان قائداً على سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتلم [2] وكانت الليلة باردة ، فخاف على نفسه من البرد ، فلم يغتسل وصلى .. فبلغ الخبر رسول الله ، فمازاد على أن ابتسم وهويقول له : « صليت وأنت جُنب ؟ ! » . ولم يعلق !

ثم تأمل فتاوى الفقهاء بعد ذلك في شروط الغسل . وكيف يجب أن يصل الماء الى جذور الشعر ،وضرورة أن ينقل المغتسل قدميه من حيث كان واقفا ليكمل غسل قدميه ! ! ترى الفارق بين دين الفطرة وتدين أهل الحرفة ..

والله سبحانه وتعالى يقول : (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش . واذا ما غضبوا هم يغفرون) و يقول : (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم . إن ربك واسع المغفرة) .

و يقول : (والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون . ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا) .

---

٢ ـــ الاحتلام هوحلم جنسى يراه النائم و ينتهى بالانزال أو القذف و يوجب الغسل مثل الجماع !

وعـرف المـسـلـمـون أن الـشرك بالله إثم عظيم ، وكذلك قتل النفس ، والزنا .
وقال الرسول وهو يعدد الكبائر:

« وأن تزنى بحليلة جارك »

ولـكـن المحـتـرفين لا يرضيهم هذا ، لابد أن يبحثوا ماهي الكبائر.. تماما كما يـقـول الـقـرآن فـي بساطته وروعته .. ادعوا الله ماشئتم فله الأسماء الحسنى فيأبى المحـتـرفـون إلا أن يـعـددوا تـسعة وتسعين اسما ، بل و يتفرغون للبحث عن « اسم أعظم » سرى !

وجـدوا سـبـع كـبـائر.. « الشرك والسحر وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وأكـل الـربـا ، والـتـولـى يـوم الـزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » وجعلوه حديثا ومصدره أبو هر يره بالطبع !

وهـو كما تـرى يختلف عن التحديد الذى ورد فى الآية التى أشرنا اليها ، وإن كان قد حصر مانهى الله عنه فى مواضع متفرقة من القرآن ..

الا أنـه تجـدر المـلاحظة أن هذا « الحديث » قد قدم السحر على قتل النفس ! ولم يذكر الزنا .. بل قذف المحصنات .

ومـا كـانت السبع موبقات بكافية عند المحترفين ، بل جعلوها سبعين لتشمل على قـدم المساواة مع الشرك بالله ، لعب الشطرنج ! (أنظر شمس الدين الذهبي . كـتـاب الكبائر) ومن الطر يف أن المؤلف نفسه نقل عن المندرى في الترغيب : « وقـد ورد ذكـر الشطرنج فى أحاديث ، لا أعلم عن كثير منها إسناداً صحيحا ولا حسنا والله أعلم » .

فهذه الأحاديث التى لاسند صحيح لها ولا حسن ، تحولت الى فتاوى وحرمت الشطرنج [3] على الناس .. وكذلك التصوير في اللباس والجدران . أى إتهام كل المسلمين الآن بارتكاب الكبائر!!

وكذلك الذى لايتحرز من البول ، واسبال الازار ، والعبد إذا هرب ! وتأمل عمر رضى الله عنه يأتيه الرجل ببلحة يستفتيه :

« وجدت هذه يا أمير المؤمنين .. ماذا أفعل بها .. ؟ فيرد عمر على الفور: بضربة عصا على ظهر المنافق و يقول : « كلها .. يا بارد الورع . ! » .

هذا هو الاسلام ..

ولكن تخيل لوجاء بارد الورع هذا ببلحته الى بارد الفقه يستفتيه وتخيل السيناريو الذى يمكن أن يدور بينهما .. تعرف الفارق بين دين الفطرة وتدين الحرفة ..

وسنحتاج لتفهم هذا الفارق خلال دراستنا للجنس والجرائم الجنسية .. وسنجد أن دين الفطرة وصل في الموقف منها الى كمال الكمال : استبشع الفاحشة وعظّم اثمها وتوعد مرتكبها ، بقدر ما تتضمنه من عدوان على انسانية مرتكبها ، ومن عدوان على حقوق الآخرين وسلامة العلاقات الاجتماعية ، وسلامة المجتمع ككل ولكنه في نفس الوقت لم يقم من الدولة مقصلة ولا جلادا ينقب عن الخاطئين ، و يشمت في خطيئتهم و يلتذ بمعاقبتهم . بل إن الدولة الاسلامية ، أكثر ألما بتنفيذ حد من حدود الله في جرائم الجنس ، من مرتكبه كما سنرى . كذلك يجب التخلى أو التحرر من المفاهيم الغربية التى انتقلت الينا مع تأثيرات الحضارة المنتصرة ، مما جعلنا نتخلى عن الانفتاح والتحرر ونتبنى النظرة

٣ــ انظر كيف يعتبر المؤرخون ، الشطرنج ، هدية العرب المتنورين لأوروبا وكيف كان فردريك ملك صقلية وتلميذ الحضارة العربية يشجعه . ولويس القديس المتخلف يحرمه . وكيف لما تخلفنا حرمناه أيضا !

المتزمتة التي ترى في الجنس نجاسة وإثماً . فالمفهوم الاسلامي للجنس يختلف جذريا عن مفهوم الحضارة الغربية المسيحية ، ولابد من دراسة دقيقة لكلا المفهومين . حتى يمكن تقييم الأخلاقيات والممارسات التي بنيت على كل منهما .. سواء في التشريعات الجنسية ، أو في المسلكية الجنسية ، أو في مركز المرأة الإجتماعي والانسانى ..

والحق أن الجنس في المفهوم المسيحي ـ الغربى ، حالة شاذة ، قلقة ، مزعجة ، « مقرف » كما سماه القديس أوغسطين « قذر» « يهبط بمستوى الانسان » أو « مخجل » كما وصفه تورتليان . أو كما تقول مؤلفة الجنس في التاريخ : كان هناك شعور عام بين آباء الكنيسة بأن الله (سبحانه وتعالى) كان يجب أن يخلق طريقة أفضل لحل مشكلة التناسل ، ولكن أوغسطين لما عكف على دراسة المشكلة ، وهو الذى كانت شهواته تملأ صومعته بفتيات راقصات عاريات ، من صنع خياله بالطبع ، اهتدى إلى أنها ليست غلطة الله بل غلطة آدم وحواء ..

« فالرجل والمرأة اللذان خلقهما الله كانا مخلوقين عاقلين يسيطران تماما على الجسد ولم تكن هناك أية شهوة ولا حاجة لمقاومة الشهوة ، فالجنس في جنة عدن ـ اذا كان قد وجد ـ فقد كان جنسا باردا رفيع المستوى .. بدون شهوة . ولا نشوة ، مجرد استخدام ميكانيكى للأجهزة التى أنتجها الخالق لكى تحقق التناسل بترو واستعبار (ربما مثل تلقيح اطفال الانابيب .. الذى لا أدرى لماذا تعارضه الكنيسة اذن) . ولكن عندما اخطأ آدم وحواء ، بدآ يحسان بشعور أناني جديد وهو الشهوة ، ولا يسيطران عليها ، وأول ما أحسا هو الشعور بالخجل لعريهما .. وفسر أغسطين ذلك بأن أول ردفعل للمعصية كان نشاط أجهزتهم التناسلية ، وعجزهما عن السيطرة على تلك الظاهرة الجديدة ، هوماجعلهما

يستخدمان ورق الجنة لستر هذه الاجهزة »[4] فالجنس قبل الخطيئة ، إما انه لم يوجد ، أو كان بلالذة .. واللذة جاءت بعد الخطيئة ..

وقد استند آباء الكنيسة الى أن المسيح لم يهتم بالجنس . وتعليقاته في هذا الموضوع نادرة ، « وخاصة بالنسبة لملاحظاته العديدة عن الثروة وشهوة التملك » واشارات الجنس في كلام المسيح قصد بها هدف آخر مثل الحديث عن « زنا القلب » أي التأكيد على أن الأعمال بالنيات ، ولو أنه أكد على عدم امكانية فسخ رباط الزوجية إلا أن الفكرة الشائعة عنه أنه أيد العزوبية و بالطبع حجة الكاتبة التى نقلنا عنها هذا الكلام هى حياة المسيح ذاته ، فهو وفقا للتاريخ الرسمى للكنيسة لم يتزوج . ولكن بعض الدراسات الحديثة تنسب له الزواج والانجاب ، وهو أمر إن صح ، غير مستبعد في المفهوم الاسلامى للمسيح ..[5] « عبده ورسوله » وتضيف الكاتبة أنه رفض ادانة الزنا ، ولم يفرض عقوبة ضد الجنس بين غير المتزوجين . ونعتقد أنها كانت ستكون فى موقف أسلم لو اكتفت بالقول بأنه لم يهتم بموضوع الجنس ولا مايتفرع عنه ، والأصح أنه رفض رجم الزانية ، وليس ادانة الزنا ؟! لأنه أكد في أكثر من موضع تمسكه بالوصايا العشر لليهود ، ومن بينها « عدم الزنا » ولم يقل أن الزانية لا ترجم ، ولكنه قال إن « الخطاة لا يرجمون » فالسلطة التى تدين وتنفذ يجب أن تكون طاهرة .

وتتطرف المؤلفة (كتاب الجنس فى التاريخ) فتكرر ما يقوله الملاحدة . اليوم ، وهو أن المسيح كانت علاقاته كلها مع الرجال ، « وأنه كان يحب سانت جون ، اذا ما صدقنا رواية سانت جون الذى أكد هذه الحقيقة في أكثر من موضع » (صفحة ١١٥)

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ..ومعاذ الله !

---

٤ ــ الجنس في التاريخ .

٥ ــ انظر كتاب المؤلف : خواطر مسلم فى الجهاد والاقليات والاناجيل .

واذا كانت الكاتبة تقصد المعاشرة والاختلاط فقد كانت هناك أكثر من امرأة تحيط بالمسيح ، وان لم تصل طبعا الى نسبة أو مستوى مساهمة المرأة في ظهور الاسلام وحياة الرسول .. أما اذا كانت تقصد الخبرة الجنسية .. فالصورة الكنسية — فعلا — تنفي هذه الخبرة تماما ، وهو ما أصبح حقيقة مطلوبة ومتفقا عليها في الرئيس الأعلى للكنيسة التى تشرع للناس السلوك الجنسي والحياة الزوجية والعائلية دون أية خبرة عملية من البابا وكبار الكرادلة ..

وقد اختلف « ترتوليان » مع « توماس الأكوينى » حول الاتصال الجنسي ، فرأى « ترتوليان » أن الجنس هو ثمرة خطيئة حواء وآدم . وأن الجنس البشرى كان سيتكاثر فى الجنة بأسلوب طاهر غير جنسى (ربما بالانقسام مثل الاميبا) أما « توماس الاكوينى » فيتلطف بنا ، و يقرر أن الاتصال الجنسي كان من بداية الخليقة ، هو السبيل الى التكاثر، إلا أنه في الجنة لم يكن ممتزجا باللذة الجنسية ، التى اقترنت به بعد أن هبط آدم من الجنة ، (ربما كعقوبة) . أو أن اللذة الجنسية لاتليق بأهل الجنة !

وهذه الفلسفة صادفت رواجا وقناعة ، كما قلنا [6] ، كرد فعل للحياة الجنسية المبتذلة للرومان والتى مازالت تثير التقزز في انسان القرن العشرين . مما دفع عدداً من آباء الكنيسة الأوائل الى خصي [7] أنفسهم ، واستقر في الضمير الغربي كراهية الجنس ، والشعور بخطأ « اللذة » فى ممارسته كضرورة للتكاثر. واستمر هذا الشعور الى النصف الأول من القرن العشرين .. ففضلا عن رفض أى تفكير فى اللذة الجنسية كهدف فى حد ذاته مشروع وجميل . والاصرار على هدف واحد للجنس وهو الانجاب ، وفى وضع واحد « أجمع فقهاء الكنيسة جميعا وكلهم غير

---

٦ — انظر فصل اللواط .
٧ — وان كان الخصي يمنع من تولى وظيفة رئيسية فى الكنيسة .

محصنين ، على شرعية وضع واحد « طبيعى » للجماع [٨] ــ وهو علو الرجل للمرأة المستلقية على ظهرها ــ وما عداه غير طبيعى ومحرم لأنه تشبه من الانسان بالحيوان و يشتبه فى أنه يسبب منع الحمل ، و يتنافى بذلك مع الهدف من الزواج . ولذا فأى جنس لا يؤدى الى الانجاب حتى ولو كان مع الزوجة جريمة تعادل القتل وتكفيرها من ٣ سنوات الى ١٥ سنة »

وحتى عام ١٩٧٦ أصدر الفاتيكان بيانا حول بعض الأسئلة عن أخلاقيات الجنس جاء فيه : « ان الاستخدام المتعمد للطاقة الجنسية خارج العلاقات الزوجية الطبيعية يتعارض أساسا مع هدف الغريزة » .

و يتفق رأى السيدة « راى تناهيل » مع رأينا اذ تقول « يبدو أن الكنيسة اعتبرت المرأة الرومانية النموذج المضاد . لكل ما يجب أن تكون عليه المرأة المسيحية » ولذا اعتبرت تجمل المرأة من المحرمات ، أما الجمال الطبيعي ، فهو مكروه و يستحسن اهماله وطمسه حتى لا يظهر حيث أنه خطر على كل من ينظر اليه » [٩] .

حتى النظافة كانت مكروهة ، فالذى اغتسل في المسيح لا يحتاج الى استحمام [١٠] !

٨ــ وفى القرن السادس عشر ألف الشيخ النفراوى كتاب « الحدائق العبقة » لباى تونس لتنشيطه جنسيا وسجل فى كتابه ١١ وضعا عربيا للجماع وأضاف اليها ٢٥ وضعا مقتبسا ! من الثقافة الهندية وقبل ذلك ذاع وشاع كتاب رجوع الشيخ الى صباه وفيه أكثر من اربعين وضعا للجماع . وقد اكتشف منذ سنوات كتاب « منابع اللذة » لمؤلف يمنى طبيب فى القرن السادس الهجرى وفيه ماشئت . ومن القرن السابع الميلادى أبيح للمسلمين كافة الأوضاع .

٩ــ ص ١٣٦ الجنس فى التاريخ والنص عن ترتوليان .

١٠ــ ص ١٣٨ عن . Darlington PP. 300

ورغم هذا التحديد الصارم ، فقد اتفقوا أيضا على أن اظهار « اللذة » أثناء الجماع الشرعي مكروه . مثل التعبير بحركات واضحة أو بالصوت عن الاستمتاع ... ورحم الله عائشة بنت طلحة التى نخرت نخرة أثناء وطء زوجها لها فنفر مائة من ابل الصدقة لم تجتمع حتى اليوم ! .. و يقال ان من أسباب المشكلة العنصرية فى أمريكا أن البيض كانوا يسمعون نشوة المرأة السوداء مع زوجها ، وهي القادمة من حضارة غير مسيحية ، سواء الأفريقية أو دين الفطرة الذى ثبت أنه كان دين الغالبية من العبيد الذين اختطفوا و بيعوا في العالم الجديد ، فاستقر في عقلية البيض أن السود متفوقون جنسيا ، وليس أنهم أكثر تجاوبا مع مشاعرهم وأكثر صدقا في التعبير عن هذه المشاعر .. وأن المرأة البيضاء اذا حررت من عقدة الشعور باثم الجنس وخطيئة اللذة ، أقدر على مجاراة السوداء والصفراء .. حتى مع الرجل الأبيض .. فالناس سواء من ناحية الجسد ولكن التكوين النفسي والفكرى هو الذى يختلف .

وسيجد القارىء فى موضع آخر أن اظهار اللذة وزيادة الاستمتاع بالقول أو الفعل مطلوب ومسموح به دينيا ، سواء بالحديث عن « الملاعبة » أو مباشرة ، بحديث النهى عن أن يذيع الرجل ما يكون بين المرأة وزوجها من قول أو فعل أثناء الجماع ! ..

ولأن العزوبية هي الأصل ، والزواج هو الحل الأفضل من الزنا لمن لا يطيق ، أو مجرد ضرورة للتكاثر .. فقد قال سان بول : « ان العزوبية مسلك أكثر مسيحية من الزواج لأنها لا تفرض أية مسئوليات ولا مشاغل تشغل عن عبادة الرب [١١] »

ومنذ القرن السابع الى القرن الثانى عشر كان فقهاء الكنيسة يبحثون طبيعة الزواج ، وهل هو عقد أخلاقى أم « عقدة النكاح » وأخيرا توصلوا الى أنه

---

١١ ــ رسائل الى قورنثه اصحاح ٧ , ٩

الاتفاق وليس النكاح هو الذى يقيم الزواج وأن عقد الزواج يعطى الحق في النكاح ولكن لايوجبه » [١٢] « وهكذا رفضت الكنيسة اعتبار الجنس جزءا لايتجزأ من الزواج » [١٣] ونصح بعض المجتهدين بالامتناع عن الجنس يوم الخميس بمناسبة ذكرى اعتقال المسيح ، و يوم الجمعة ذكرى موته ، والسبت توقيرا للعذراء مريم ، والأحد [١٤] احياء لذكرى بعث المسيح بعد موته ، والاثنين احتفاء بذكرى صعوده .. فهو مباح الثلاثاء والأربعاء إلا اذا صادفا صياما أو عيدا . كذلك يمتنع عن الجنس بين الزوجين فى الأربعين يوما السابقة على الفصح والعنصرة وعيد الميلاد والأيام السابقة على التناول » [١٥] .

والى نهاية القرن الحادى عشر كان يسمح للمتزوج أن ينخرط في سلك الكهنوت ، ولكن لايسمح لمن انخرط فعلا بالزواج ، ثم في نهاية القرن الذى شهد مولد الحروب الصليبية « وتقوى مركز الباباوية ، أصدر البابا جريجورى السابع قراراً بتحريم زواج رجال الدين » « وفى عام ١٩٧٨ اصدر اسقف كانتربرى قرارا بفصل مائتي أسقف متزوج عن زوجاتهم خلال الأسابيع الثلاثة التى استغرقها انعقاد مؤتمر « لامبث » الدولي . وهكذا أسكن الأساقفة في جامعة كنت ، واحتجزت زوجاتهم على بعد ميل » [١٦] وقد حرم الطلاق فى القرن الثاني عشر أوالثالث عشر مع اشتداد قبضة الكنيسة . وقال بولس : « من يزوج ابنته يفعل حسنا ، ولكن من لايزوجها يفعل أحسن ، ومن الخير أن يظل الرجل أعزب إلا إن خاف الوقوع فى الخطيئة » .

---

١٢ ــ وعندنا يتم بالنكاح ، ويمكن فسخه اذا عجز أوامتنع أحد الطرفين عن النكاح

١٣ ــ الجنس فى التاريخ ص ١٣٤

١٤ ــ كان الرواد الامر يكيون يرفضون تعميد الوليد الذي يولد يوم الأحد لاعتقادهم أنه لابد قد حلت به أمه فى يوم الاحد وهويوم لايجوز فيه النكاح وعندنا نكاح ليلة الجمعة مستحب .

١٥ ــ ن . م ص ١٣٥

١٦ ــ الجنس فى التاريخ ١٣٢

هذا هو الموقف المسيحي الذى مازال يحكم العقلية الغربية والسلوك الغربي من الجنس واللذة الجنسية .. شعور بالاثم ، والانحطاط .. أو الخطأ نعم هذا هو التصور الذى يحكم السلوك الغربي ، حتى يومنا هذا وفى ذروة الاباحية الجنسية ، والاندفاع الى اللذة بكل ضروبها .. ذلك أن هذا « الانحلال » على أوسع نطاق ، انما يعكس نفس الاحساس بالاثم ، لأن السلوك الانسانى ، ازاء مايؤمن بأنه اثم ، يتخذ أحد شكلين ، إما التطهر بالتعفف عنه .. وإما الاغراق فيه ، المنبعث من العجز عن مقاومته ، و بالتالى التسليم لسيطرته ، فالتحلل الجنسي ، والتباهي بهذا التحلل ، والاصرار على المجاهرة ، كلها تعكس الاحساس بالاثم ، ومحاولة اخفاء صرخات الضمير، باحداث أكبر قدر ممكن من الضجيج والصخب .. أو محاولة انتزاع اعتراف « السلطة » بمشروعيته ..

فما موقفنا من الجنس واللذة ؟ !

يبدأ الله سبحانه وتعالى بأن يمن علينا بخلق المرأة : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، و بث منها رجالا كثيرا ونساء » [١٧] « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا ، لتسكنوا اليها » « وجعل منها زوجها ليسكن اليها » والجنس وتشريعاته تحتل مكانا بارزا في القرآن والسنة ، ورسول الله وكبار المسلمين من الصحابة والتابعين والفقهاء مارسوا الحياة الزوجية والجنسية على أكمل وجه والرسول يأمر بالزواج أساسا ، ويجعل العفة والعزوبية استثناء : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة (الجماع ومسئوليات الزواج) فليتزوج ، فانه أغض للبصر. وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (أى مسكن أو مخفف للشهوة) .

---

١٧ ـــ سورة النساء .

وقد أعلن النبى انه « لارهبانية فى الاسلام » ورفض موقف الصحابي الذى قال إنه لن يتزوج ليتفرغ للعبادة (مفهوم بولس) ورد عليه النبى : « أنا أكثركم عبادة ، وأنا أتزوج النساء ، فمن خرج عن سنتي فليس منا » .

وقال : « مسكين مسكين رجل لازوجة له . مسكينه مسكينة ! إمرأة لا بعل لها » وقال معاذ « زوجونى .. لا ألقى الله تعالى وأنا أعزب » ! رضى الله عنه وعنهم ان كانوا قد زوجوه .

والمتزوج عندنا أكمل دينا (فالزواج نصف الدين) وهو أولى بالصلاة خلفه من الاعزب .. وأولى بتولى الخلافة أو الامارة من الاعزب فى حالة تساوى الشروط الاخرى ..

والامام الحافظ أبو عبدالله بن القيم الجوزية (ولد سنه ٦٩١ وتوفى سنة ٧٥١هـ) يحدد أسباب الاتصال الجنسي ، أو لماذا خلق الله الغريزة الجنسية فيقول : « يحفظ به الصحة ، و يتم به اللذة وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها - فإن الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور هى مقاصده الأصلية :

● حفظ النسل ودوام النوع الى أن تتكامل العدة التى قدر الله بروزها الى هذا العالم .

● اخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه ، البدن .

● فى قضاء الوطر ونيل اللذة ، والتمتع بالنعمة . وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة اذلا تناسل هناك ، ولا احتقان يستفرغه الانزال .

ومازلت معجبا بالتحدى الذى ألقيته في كتابي « دراسة فى فكر منحل » منذ عشرين سنة ، تعليقا على هذا التحليل الرائع من فقيه في عصور « التخلف الاسلامية » اذ قلت : نتحدى أى « دكتور » أن يضيف سببا رابعا للاتصال

الجنسي غير التى ذكرها شيخنا منذ سبعة قرون ؟ ! أيعاب علينا أن نتيه على الدنيا بتفوق العقلية الاسلامية .. ؟ !

وفضلا عن الالمام العلمى بطبيعة الغريزة الجنسية واهدافها ، فهناك التفوق فى تحديد اللذة كهدف في حد ذاته ، بل وجعلها هى الأصل وهي المنتهي ، ففي الجنة ، تنعدم الأهداف الأخرى ، حفظ النوع ، والحاجة الفيسيولوجية .. ولا يبقى الا اللذة للذة .. ومن هنا استنتجنا أن المفهوم الاسلامى عن الجنس فى جنة عدن الأولى كان للذة وحدها ، وبلذة كاملة ..

وأحسب أننى مطالب بأن أقف لحظة عند التشابه الموجود في رواية التوراة والقرآن حول اكتشاف آدم وحواء لسوآتهما فأخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة .. فقد يبدو أن تفسيرات « ترتوليان » « والاكوينى » قريبة من هذا النص القرآنى ، ولكن ذلك غير صحيح ، فليس في التراث الاسلامى ولا فى سلوك الرسول والصحابة ، مايعطي أى ايحاء بوجود مثل هذا الفهم عن الجنس ، فليس فى الاسلام حب بين رجل وامرأة بلاجنس ، لأن ذلك يفضى الى جنس بلاحب . وقد رأينا أن شيخنا قد نص على اللذة كهدف من اهداف خلق الغريزة الجنسية ، بل جعلها هي الدائمة ، بانتفاء التناسل ، وافراز الغدد .. ومن ثم حق لنا القول بأن الجنس بين آدم وحواء كان للذة وحدها .. وتفسير ظهور السوأة ، إنهما كانا يمارسان اللذة بدون أى شعور بالخجل أو الاثم ، أو أى احساس بأن الجنس فعل خاص تحيط به رموز خاصة ، تميزه عن سائر المتع ، فلا عيب فيه ، ولا مبرر للخجل منه ، ومع الاعتذار للقديس اغسطين فلابد أن أجهزتهما الجنسية كانت نشطة ، والا لاستحال عليهما ممارسة الجنس بلذة أو بدون لذة .. واذا كان آدم قد لاحظ بعد الخطيئة ــ انتعاظ جهازه فخجل ، فماذا لاحظت حواء ، أو بالأحرى ماذا خجلت منه خشية ان يلاحظه الآخرون ؟ ونشاط جهاز المرأة التناسلي لايمكن ملاحظته من الخارج بسهولة ..

فى اعتقادنا أنه بعد المعصية ، لم تظهر اللذة ، فهذه موجودة من قبل ، بل ظهر الاحساس بالألم والخجل ، ومعرفة ما سيترتب على الجنس من الحمل ، والميلاد .. والأولاد .. الخ .. فاللذة كانت موجودة وصافية و بلاتعقيدات ، ثم أضيفت اليها التعقيدات والمسئوليات ، والقلق ، والخجل ... فإذا ماحسن سلوكنا في هذه الدنيا ، فسنعود للجنة حيث الحالة الأولى ؛ أى الجنس لذة خالصة بلاحياء ولا ندم ولا توجس ، حتى وإن استمرت الثياب كلون من المتعة ، اذ لاشك أن الانسان أكثر جمالا وإثارة بالثياب — معظم الناس على الأقل — وخاصة اذا كانت من ثياب الجنة ، سندس واستبرق .. الخ .

فعندنا أنه فى البداية كانت المتعة واللذة مع القيد الوحيد الذى وضع على الشجرة ، والتحذير من الشيطان . فلما حدثت المعصية ، كان الخجل والندم والقلق ، والعار ، والعورة .. وكل التعقيدات التى جاء الاسلام ليحررنا منها . و يعيدنا الى المفهوم الأول .. و بعد المغفرة يذهب هذا كله وتعود اللذة التى بلا حدود ولاقيود ولا حواجز نفسية ..

اما بالمفهوم المسيحي — فكما رأينا — في الأصل كان « التطهر » فإما أن الجنس لم يوجد أصلا . أو أنه كان موجودا بافتراض تكاثر الناس في الجنة ، ولكن بلا شهوة ، ولا متعة ، ولا اثارة ، ولا لذة .. فلما كانت الخطيئة كان الشبق والشهوة واللذة ! .. ولذلك فالأطهار هم الذين يمارسون سلوك الجنة الأول ، يكبحون الشهوة ، ويمتنعون نهائيا عن الجنس ولذته .. أو يمارسونه للهدف الذى « جعله الله » وهو التناسل فقط ، بلا شهوة أو اشتهاء ، أو على الاقل يتظاهرون بذلك وسيكافأون فى الآخره ، بالاعفاء الكامل من الجنس ، ومن الطبيعي أن يكون المفهوم المسيحي عن الجنة ، أنها متعة للأرواح بلا أجساد ، وأن تكون جنة المسلمين حافلة بالمتع الجسدية .. أمتعنا الله وأمتعكم بجنة المسلمين ان شاء الله .

ولا قيد فى المتعة الحلال عندنا « والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على ازواجهم أو ماملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » [18]

والاتصال الجنسي عندنا يثاب عليه قال صلوات الله عليه « وفي بضع أحدكم صدقة » (أى في الجماع) فقالوا : « أيأتى أحدنا شهوته ، و يكون له فيها أجر .. قال أرأيتم لووضعها فى حرام ، كان عليه فيها وزر ، فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

وقد ذهبنا الى أن تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام ، كانت لازالة هذا المفهوم الذى روجته الكنيسة من كراهية الزواج ، وخاصة الزواج من المطلقة أو الأرملة ، ولذلك كانت كل زوجاته إلا واحدة ، سبق لهن الزواج ..

وكما قلنا فإن الجنس عنصر أساسي في الزواج ، بل وتتم به شرعية الزواج ، وقال ابن القيم الجوزية : « والمودة بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم مما كانت قبله . والسبب أن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين ، فإذا رأت العين ، اشتهى القلب ، فإذا باشر الجسمُ الجسمَ اجتمعت شهوة القلب ولذة العين ، ولذة المباشرة » « وفيه كمال اللذة ، وكمال الاحسان الى الحبيب ، وحصول الأجر ، وثواب الصدقة ، وفرح النفس ، فإن صادف ذلك وجها حسنا ، وخلقا دمثا ، وعشقا وافرا ، ورغبة تامة ، واحتسابا للثواب ، فتلك اللذة التى لايعادلها شىء ، ولاسيا اذا وافقت كمالها ، فإنها لاتكتمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة ، فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب ، والاذن بسماع كلامه ، والأنف بشم رائحته ، والفم بتقبيله ، واليد بلمسه ، وتعكف كل جارحه على ماتطلبه من لذتها ، وتقابلها من المحبوب » .

---

١٨ ـــ المؤمنون .

وأنت ترى أن شيخنا لا يحرم عضوا من لذته ، بل و يقرر: « ومما ينبغي تقديمه على الجماع ، ملاعبة المرأة وتقبيلها ومص لسانها » . وعن جابر بن عبدالله قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل الملاعبة » .

وهي أمور لم تكتشفها أوروبا المسيحية إلا بعد شيخنا بسبعمائة سنة ؟ ! ومازال الجدل على أشده فى الكنيسة حول مشروعية الجنس الجاف بل حتى مطلع هذا القرن كانت الزوجة الأمريكية التقية تتحرج من القبلة بشهوة مع زوجها ! ودعك من مص اللسان ، أو ماهو ألذ للزوجين ! وقد أشرنا فى غير هذا الموضع الى جواز الاستمناء ، بل وأن تساعد الزوجة زوجها على الاستمناء . وقد حرم علينا الوطء فى فترة الحيض ، ولكن الجنس دون الوطء فى ايام الحيض ، ليس فقط من المباح ، بل أذهب الى أنه سنة ، فقد كان عليه الصلاة والسلام « يأمر عائشة أن تأتزر و يباشرها » . في أيام الحيض .

وعندنا يمنع الجنس أثناء الصيام ولكن الله سبحانه وتعالى ينبهنا الى أنه مباح فى ليلة الصيام من غروب الشمس الى طلوع الفجر. قواك الله يا أخى — لما علمه العزيز الحكيم من الضيق الذى كان يعانيه المسلمون ، ولم يطلب منهم أكثر من الامتناع عن الجماع وهم « عاكفون في المساجد » وهو طلب جد معقول ومنطقى . . قال عز وجل . .

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم وعفا عنكم . فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم . وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد . تلك حدود الله فلا تقربوها . كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » البقرة.

وقد طلبت زوجة « رفاعة القرظى » الطلاق لصغر عضو زوجها ، فحكم لها بذلك والزوجة لا يجوز لها أن تمتنع عن تلبية رغبة الزوج قال رسول الله « والذى نفسي بيده . ما من رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه ، إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » . واذا كان لايمكن اثبات أمتناع الرجل عن قصد .. فان الشرع قرر لا ضرر ولا ضرار، واعتبر من الضرر عدم اشباع الحاجة الجنسية للزوجة ومن ثم لها حق الطلاق سواء كان أمتناع الزوج عن عجز أو كراهية أو عن رغبة في الايذاء والازعاج

واذا كان « الجماع » يجب أن تسبقه الملاعبة ، فإن مفهوم النص والشرح فى حديث « الأفضاء » أن التعبير مباح عن الشعور خلال الجماع .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة . الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي سرها » . وشرح الحديث الامام النووى (٦٣١ هـ) فقال « وفى هذا الحديث تحريم افشاء الرجل ما يجرى بينه و بين امرأته من أمر الاستمتاع و وصف تفاصيل ذلك ، **وما يجرى من المرأة فيه من قول أوفعل ونحوه »**

ولايمكن أن يجتمع فى تراثنا ، كل هذا الغزل اذا كان الجنس مكروها فى ديننا ، أو الحب مريبا . بل العكس ان النظرة المتحررة للجنس جعلت المسلمين يرون في العشق علاقةنبيلة شريفة ، لا يتغنى بها فقط ، بل اعتبروا أن الجمع بين العاشقين فضيلة ، ومثوبة ، يسعى لها أجلاء الصحابة ، رضي الله عنهم ... [١٩]

مرّ أبو بكر الصدّيق ، رضي الله عنه ـــ في خلافته ـــ بطريق من طرق المدينة

---

١٩ ـــ فى الحلال طبعا ..

فإذا جارية تطحن وهي تقول :

وهويته من قبل قطع تمائمي

متمايساً مثل القضيب الناعم

وكأن نور البدر سنّة وجهه

ينمى و يصعد في ذؤابة هاشم

فدقّ عليها الباب ، فخرجت إليه ، فقال : و يلك ! أحرّة أنت أم مملوكة ؟ فقالت : بل مملوكة ياخليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . قال : فمن هويت ؟ .. فبكت ثم قالت : بحق الله إلا انصرفت عني .. فقال : لا أريم أو تعلميني . فقالت :

وأنا التي لَعِبَ الغرامُ بقلبها

فبكت لحبِّ محمدِ بن القاسم

فصار الى المسجد و بعث الى مولاها فاشتراها منه ، و بعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب ...

وجاءت جارية لعثمان بن عفان تستعدي على رجل من الأنصار، فقال لها عثمان : ماقصتك ؟ .. فقالت : ياأمير المؤمنين كلفت بابن أخيه ، فما أنفك أراعنيه . فقال له عثمان : إما أن تهبها لابن أخيك ، أو أعطيك ثمنها من مالي . فقال : أشهدك ياأمير المؤمنين أنها له .

وأُتي عليّ بن أبي طالب بغلام من العرب وجدوه في دار قوم بالليل ، فقال له : ماقصتك ؟ فقال : لست بسارق ولكن أصدقك :

تَعَلَّقْتُ في دار الرباحيِّ خَوْدَةً

يذلّ لها من حسنها الشمسُ والبدرُ

لها في بنات الروم حُسْنٌ ومنصب

اذا افتخرت بالحسن صدّقها الفخر

فلما طرقت الدار من حَرّ مهجة

أتيت وفيها من توقدها جمر

تبادر أهل الدار لي ثم صيّحوا :

هو اللصُّ محتوماً له القتلُ والأسر

فلما سمع « عليّ » شعره رقّ له وقال للمهلب بن رباح : اسمح له بها ونعوضك عنها .

واشترى معاوية بن أبي سفيان جارية من البحرين ، فأعجب بها اعجاباً شديداً ، فسمعها يوماً تنشد أبياتاً منها :

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى

طريراً وسيماً بعدما طرّ شاربُهْ

فسألها فقالت : هو ابن عمي .. فردّها اليه وفي قلبه منها .
ودخلت عزة يوماً على أم البنين اخت عمر بنْ عبدالعزيز فسألتها : ياعزة ماقول كثير:

قضى كل ذي دَين فوفّى غريمه

وعزة ممطولٌ مُعنّى غريمها ...

ماكان هذا الدين ؟ .. فقالَت عزة : كنت قد وعدته بقبلة ، فتحرجت منها . فقالت أم البنين : أنجزيها وعليّ اثمها ... الخ . [٢٠]

---

٢٠ ـــ غلبت عاطفة أم البنين على تقواها ... وبقية القصة : فأعتقت أم البنين بكلمتها هذه أربعين رقبة وكانت اذا ذكرتها بكت وقالت : ليتني خرست ولم أتكلم بها .

لست أريد أن أطيل ... وحسبك أن تعلمي أيتها المسلمة ... أنه ما من أمّة قد عشقت كما عشقنا ، وما من أمّة قد أقبلت على الحياة كما أقبلنا ، لم نصدف عنها صدوف العاجز الكاره لها ... ولا انتحرنا بادمانها ... وستبقى ليالينا في دمشق وبغداد والقاهرة والحمراء وقرطبة ... حلم البشرية كلها ، وليلة الغرام للمرأة ، فقد عاشت فيها أروع وأمتع الحب ، يحوطها حنان الرجل واعزازه ... وتنعم فيها ، لأول مرة ، بالمساواة الكاملة كانسانة ، وبالمكانة السامية كحبيبة القلب ... وما من أمة في تراثها عشر ما في تراثنا من غزل بالمرأة ووله بها ...

وفي اعتقادي أن الرجل الذي يستمتع بالجنس بلا عجز ولا عقدة اثم ... لا يمكن أن يحتقر المرأة ...

الموقف من المرأة

وان كان هذا خارج موضوع البحث نوعا ما إلا أنه لابأس من الاشارة هنا ، الى ارتباط الموقف من الجنس بالموقف من المرأة .. فايمان المسيحية الغربية بنقص المرأة ، وانها كانت السبب فى طرد آدم ، وظهور الجنس أو اللذة ، كان له تأثيره المزدوج على انحطاط مركز المرأة في التصور الكنسي ، وعلى كراهية الجنس الذى يلجيء الرجل الى الركوع بين رجلي المرأة .. !

وقد ورثت الكنيسة انتقاص مكانة المرأة من الحضارتين الاغريقية والرومانية ، وأضافت اليه تفسير « الخطيئة الأولى » وفقا لرواية التوراة .

« وفى أثينا لم يكن للنساء من حقوق سياسية أو قانونية أكثر من العبيد ، وكن يلحقن بأقرب ذكر ، ولا تأكل مع زوجها الا نادرا ، و يستحيل اذا كان عنده ضيوف ، ولا تخرج من البيت الا نادرا » . وفى كتابات الاغريق أن المرأة غير موثوق بها ، وغير عاقلة وشهوانية منحطة [٢١] . « وكان زنا الزوج بلا عقوبة ، ولكن الزوجة تعاقب اذا زنت » .

---

٢١ ــ راجع كتاب الجنس فى التاريخ وقد نقلت المؤلفة رواية بلوتراك عن زوجة أحد الحكام الاغريق الذى عرف من أصحابه أن رائحة فمه كريهة ، فرجع غاضبا الى بيته وسأل زوجته .. لماذا لم تخبره بذلك فردت عليه ببراءة : كنت أظن أن كل الرجال كذلك ! وهذا يذكرنا بنكتة مصرية معروفة ، ولا سبيل لذكرها !

« وفى القانون الروماني كانت تابعة للرجل ، تنتقل هي وأملاكها الى ملكية الزوج » . وقال « كاتو» في مجلس الشيوخ الروماني : « المرأة حيوان لا لجام له » وكان القانون الروماني يلزم الأب بتربية كل الاولاد الذكور، والبنت الأولى فقط ، أما بقية البنات فيلقين في العراء عند عمود مخصص لذلك ، يمتن أو يلتقطهن مديرو بيوت الدعارة ..

وقال بولس الرسول ، المؤسس الحقيقى للكنيسة الكاثوليكية : « المرأة خلقت لينتفع بها الرجل ، ولذلك يجب أن تخضع له في كل شيء . ويجب ألا تعلم في الكنيسة فقد شاء المسيح ألا يجعل أى امرأة ، ولا حتى العذراء مريم من الحواريين ، وقد حافظت الكنيسة على تقليد الذكورة باستمرار، فالقسيس يجب أن يكون شبيها بالمسيح ، واذا ماقامت امرأة بالقداس سيكون من الصعب رؤية صورة المسيح فيها » . وهذا رأى الفاتيكان فى عام ١٩٧٧ أن الكنيسة الكاثوليكية لاتعتبر نفسها مخولة برسم قسيسات [٢٢] . بل والرأى الذى أعلنه البابا أخيرا فى الثمانينيات فى أثناء زيارته للولايات المتحدة .

وقال بولس : « يجب أن تمارس المرأة الصمت والطاعة لكل ماتؤمر به ، فهى ابنة حواء التى أغوت آدم بالتعدى » . وقال كلمنت بابا الاسكندرية : « إن المرأة مساوية للرجل فى كل شيء . ولكن الرجل افضل منها في كل شيء » .

وفكرة الخطيئة الأولى ، تحمل المرأة مسئولية شقاء الجنس البشري ، فهي التي غرربها الشيطان ، وهي التي تولت اغراء الرجل فكانت الخطيئة الأولى التي رزح تحتها البشر... وطردوا من الجنة حيث لا شقاء ولا متاعب ... ولا جنس في رأي ترتوليان : « فلو كان آدم لم يعص ربه ، لعاش طاهراً حصوراً ، ولتكاثر النوع الانساني بطرق غير هذه الطرق البهيمية » .

---

٢٢ ــ مجلة التايم ــ فبراير ٧/ ٢/ ١٩٧٧

والعهد القديم صريح وواضح في تحميل حواء مسئولية هذه الخطيئة الفادحة :

« فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وان الشجرة شهية للنظر ، وأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل » . ولما سأل رب التوراة آدمها هل أكلت من الشجرة . التي أوصيتك ألا تأكل منها ، وشى آدم التوراة بزوجته : « المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة » . وفي العهد الجديد « ان آدم لم يغو ، ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي » .

أما في الاسلام ، فالآيات التي أشارت الى حديث الشجرة ، تحمل المسئولية للطرفين بلا تخصيص ، الا في آية واحدة ، ينفرد فيها آدم بالمسئولية ، وتلقي الكلمات التي غفر الله بها لآدم وزوجه .

« فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عنها فأخرجهما مِمَّا كَانَا فِيه » .

« فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا » .

« فوَسوَسَ إليْهِ الشَّيْطَانُ ، قالَ يآدمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يبْلَى ، فأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَليْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ، وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . . . »

فلا خطيئة لحواء عندنا ، بل ان هذه المعصية قد انتهت بغفران الله لهما . . . انه لغفور رحيم . .

ثم ان الخطايا في ديننا لاتورث ، وربنا الغفور الرحيم لايطارد الجنس البشري بمعصية آدم وحواء . . .

ومن ثم فلا حقد على حواء ، ولا عقوبة أبدية لبناتها . . بل هن نور حياتنا وحبات قلوبنا ، وكمال ديننا ، والجنة تحت اقدامهن . .

وقد أجمعت الدراسات الحديثة على أن الحضارة الاسلامية هي التى علمت أوروبا المسيحية احترام المرأة ، والنظر اليها كانسانة بل كأجمل نعم هذا الوجود ، بالنسبة للرجل.علمناهم « حب » المرأة والغزل المهذب فيها ، وايضا نحن الذين علمناهم حب « مريم » العذراء واحترامها .. وان كانوا قد فعلوا ذلك على طريقتهم ..

تقول مؤرخة الجنس :

« كل الذين جاءوا الى العالم الاسلامى ، ولو حتى الى أسبانيا وصقلية فقط ، عادوا بسلب لم يحسوا به ولكنه كان أثمن من كل ما حققوه أو سلبوه ، وهو نظرة جديدة للحياة من الاحتكاك بحضارة اكثر تقدما ورقيا مما كان بوسع نبلاء الغرب تخيله .. حفنه من الأفكار والانطباعات والوعى والتصور ولكنها كانت كافية لجعلهم اكثر انسجاما مع التغيرات التى كانت قد بدأت فعلا في اوروبا » وقد سافر الى اسبانيا أو فلسطين نصف فرسان فرنسا خلال الثلاثين عاما التى تلت عام ١٠٩٧ (بداية الحروب الصليبية) .

ولكن التأثير لم يقتصر على هؤلاء الذين ذهبوا ، ولا كان الصورة الأنقى ، فالذين بقوا في اوروبا أو « القاعدون » سواء لأنهم اصغر أو أكبر من سن القتال ـــ أو أعجز أو أحكم واعقل من المشاركة في المغامرة الاستعمارية .. كان هؤلاء القاعدون « يتذوقون تجربة مثيرة بشكل آخر خلال اعمال المسلمين ومؤلفاتهم ، عن علم وحكمة المسلمين ، وايضا مؤلفاتهم عن علم وحكمة العالم الكلاسيكى . هذه المعرفة وصلت مصفاة نقية عبر اسبانيا المسلمة التى عبرها ايضا جاءت الآداب التى ستؤثر على وضع المرأة في أوروبا » [٢٣] .

Sex in history PP. 244

الكنيسة الغربية كانت تنظر للمرأة من خلال صورة حواء المسئولة عن سقوط البشر، فلما حلت « مريم » التى جاءت مع العائدين من الحروب الصليبية تغيرت النظرة لصالح المرأة، وكان ذلك في القرن الرابع عشر.

فالحق أن الاسلام أهدى « ماريه » أو « مارى » للغرب المسيحي وساهم مساهمة مباشرة فى تحرير المرأة الاوروبية، ومن سخرية التاريخ ان هذا تم في ذات الوقت الذى كانت المرأة المسلمة تتراجع لتدخل الحريم التركي، المؤلم في تخلفه.

وسنثبت هذه النقطة بتوسع في دراسة اخرى، أى تعلم أوروبا احترام المرأة من العرب، وانه قبل الاحتكاك بالمسلمين والاطلاع على القرآن والموقف الاسلامى من السيدة مريم لم يكن لها كبير ذكر في الأناجيل ولا فى الكنيسة.. ولكن نعلق هنا على ماذكرته مؤرخة الجنس وهو أن الذى علم أوروبا حب « مريم » العذراء هم شعراء التروبادور، أى الذين نقلوا هذا الشعر من الاندلس المسلم، نقول انها كمؤرخة منصفة واسعة الاطلاع كان يجب أن تدرك ان حب مريم جاء من الفكر الاسلامى، من صميم الدين الاسلامى، بعد الاحتكاك العظيم في الحروب الصليبية، واذا كانت بيزنطة قد سبقت الكنيسة الغربية في احترام مريم وتقديسها فلأن بيزنطة جاورت الاسلام أربعة قرون قبل ان تبدأ الحروب الصليبية، ولاحاجة للقول بأن أية مقارنة بين الانجيل وأعمال الرسل، وتراث الكنيسة فى القرون الاولى، وبين القرآن، حول مريم، تؤكد أنه لا وجود « لمريم » في الفكر المسيحي الأول، أو أنها كما تقول المؤرخة ظلت الى القرن الثالث عشر: « مجرد قديسة عادية » أما فى الاسلام فقد أعلنت منذ القرن السابع « سيدة نساء العالمين » فهي التى اصطفاها الله على نساء العالمين، هي « البتول » التى احصنت فرجها ليس لها فى الأناجيل الأربعة سفر، ولها في القرآن سورة كاملة، وجاء اسمها في القرآن ٣٤ مرة وفى ١٤ سورة، وذكر

« عيسى » في القرآن ٢٥ مرة منها ١٥ منسوبا الى أمه « عيسى بن مريم » وورد لقب المسيح في القرآن ١١ مرة ، منها ثماني مرات « المسيح ابن مريم » . ولم يرد ذلك ولا مرة في الاناجيل ولكي لا يقال ان ذلك طبيعي لحرص الأناجيل على تأكيد أنه ابن الله نقول انه حتى عندما أراد كتاب الاناجيل اثبات نسب المسيح الآدمي ، لتأكيد أنه « ابن داود » نسبوه ليوسف النجار وليس لمريم ! !

مريم عندنا بالنص القرآني أفضل من أم نبينا عليه الصلاة والسلام وأفضل من جميع زوجاته و بناته .. وتأمل ذلك الصحابي رضي الله عنه الذي « ثنيت له وسادة ليحدث » فقال : « خديجة هي خير من ركب الابل من النساء » ثم تنبه الى خطورة المنزلق الذي ساقه اليه لسانه فبادر قائلا : « ومريم بنت عمران لم تركب الابل قط » !

حسبك هذه الواقعة لتعرف مدى مكانة مريم عليها السلام في نفوس المسلمين واذا كان المسيحيون تعلموا احترام مريم من المسلمين ، فقد شوهوا الموقف ، اذ كرموها باعتبارها أم المسيح أو أم الاله .. أما عندنا فكانة السيدة مريم ، وما أكرمه الله به لا يرجع الى أنها ولدت المسيح .. حاشا لله أن تكرم الأمهات في ديننا بنباهة أو صلاح الاولاد ، وإلا كان لآمنة بنت وهب السبق الذي لا يدرك فقد ولدت خير الخلق ، وخاتم الانبياء والرسل وإمامهم يوم المعراج والاسراء .. وحبيب الله والشفيع اليه ..

ولكن مريم حازت تلك المكانة لعاملين : الأول أنها كانت صالحة عابدة قانتة .. مؤمنة صابرة . أحصنت فرجها ، وكانت لها معجزاتها التي شاهد زكريا بعضها .. وهو الرزق الذي كان يأتيها من عند الله .. وكلما عجب زكريا من وجود ذلك في غرفتها التي اعتكفت فيها للعبادة ، ردت عليه رد المؤمنة الواثقة : « هو من عند الله » « ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

والعامل الثاني هو أن الله ابتلاها بأقسى امتحان تتعرض له عذراء عابدة ، ناسكة زاهدة محصنة عفيفة .. وهو الحمل بدون زواج ، ولا والد معروف لحملها .. مما عرضها فى زمانها ومحيطها وجيلها لأشنع اتهام ، بل مازال اليهود والمشركون يرددونه الى اليوم . وقد أبلغها سبحانه وتعالى بذلك ، وأدركت هي خطورة ماسيترتب على هذا الاختيار الالهى لها .. بل وتمنت لوكانت قد ماتت قبل هذا وصارت نسيا منسيا ، لادراكها الكامل بما سيقال عنها ، وماستتعرض له ، واهون ما جوبهت به هو التذكير بأن أمها لم تك بغيا ؟ ! ومع ذلك آمنت وصبرت وصدقت مايستحيل على كثير من العقول حتى اليوم تصديقه ..

وقبول مريم ومباركتها وتفضيلها على نساء العالمين ، بعبادتها ، سابق على ابلاغها فضلا عن حملها للمسيح ..

« اذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك مافي بطنى محرراً فتقبل منى انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت ربى إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإنى سميتها مريم وإنى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب . وجد عندها رزقا . قال يامريم أنى لك هذا . قالت هو من عند الله . ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

« واذ قالت الملائكة يا مريم ، ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعي مع الراكعين » .

من هنا يحق لنا القول أن « مريم » في المسيحية حاليا ، هي هدية المسلمين للعالم المسيحى . وان كانت صورتها أو ممارسات حبها وتوقيرها ، قد اتخذت صيغة مخالفة للعقيدة الاسلامية . بحكم العقلية الغربية ، والتطور الذى أصاب الفكر المسيحي . تقول مؤلفة « الجنس فى التاريخ » :

« حتى مطلع القرن الثانى عشر لم تكن « مريم » اكثر من احدى القديسات في التقويم المسيحي الغربي ، ولكن بمجرد ما استوردت عبادتها من بيزنطة (وقد شرحنا مصدر ذلك) حتى جذبت عواطف واعجاب القديس برنارد رجل الكنيسة المشهور الذى كان مسئولا عن اصلاح نظام الرهبنة ، و بنفوذه انشئت مئات الأديرة في أوروبا حيث وهب الرهبان أنفسهم فيها « للعذراء » يلبسون الرداء الأبيض تحية لطهارتها ، و يضيفون محرابا خاصا « للسيدة » في كنائسهم . ولم يكد يحل القرن الثالث عشر حتى كان الشعر والشعراء الجوالون يخلطون بين « السيدة » « والعذراء » بين « الحب المقدس » « والدنس » وأصبحت العذراء « سيدتنا » Our lady- Notre Dame شخصية ارستوقراطية مميزة أكثر انسجاما في بيت الامراء في قصور الغرب منها في الخان المشهور في بيت لحم . ولكن في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، تحولت بتأثير الفرنسسكان الى أم الفقراء والبؤساء ، والعائلة المقدسة التي لم يكن لها مكان في الأناجيل ، أخذت مكانها فى مجتمع القرن الخامس عشر فى روما « ولو أن العامة — الذين لا يرتبط الدين عندهم بالمنطق — كانوا على استعداد لقبول مريم كعروس المسيح وأمه .. مما أثار مشاكل منطقية في العقيدة ، وعند جودفرى أو ف ادمونت ، أنها أيضا عروس العضو ين الآخر ين فى الثالوث (أى الآب والروح القدس ج) . وقد ظلت « مارى » شوكة في جنب الفكر الكنسي لمخالفتها لنظرة المسيحية عن وضع المرأة ، حتى اضطرت فى النهاية لاعلانها حالة خاصة [٢٤] .

---

٢٤ — ص ٢٥٧ وانظر دراسة موسعة لنا عن مريم فى الاناجيل فى كتابنا : « خواطر مسلم عن الجهاد والاقليات والاناجيل » .

وقـد يـبدو من النظرة السطحية ان المفاهيم الكنسية اكثر « عفة » أو تخلق مجتمعا اكثر عـفة من المجتمع الاسلامى ــ ولكن هذا غير صحيح ، لأنها مخالفة للطبيعة . وقد اضـطـر كـبـار رجـال الكنيسة ذاتهم إلى الاعتراف بالعجز عن « خصي » المؤمنين ، ومـن ثم تـرى « قـديـسـا » مـثـل تـومـاس الاكو ينى ، الذى يعتبر فيلسوف الكنيسة ومجـددهـا فـكـر يـا ، يـقـر الـبـغـاء كـوسيلة لمكافحة اللواط ، و يقول إن البغاء مثل « المـراحيض » اذا الغيتها امتلأ المكان بالاقذار . . كذلك اذا ألغيت البغاء ، انتشر « اللـواط » . « ولـذا شـاركـت الـكـنـيـسـة فى مـهـنـة الـبـغـاء و وضـعـت البنات (المومسات) تحت اشرافها » [٢٥]

« وكـانـت هـنـاك كنيسة للدعارة في « افنيون » حيث تقضي الفتيات بعض الـوقـت فى الصلاة والواجبات الدينية ، ثم يتفرغن بقية النهار والليل لخدمة الزبائن ، الـذيـن يشترط فيهم أن يكونوا مسيحيين ، اذ لم يكن يسمح لغير المسيحيين بالدخول . وقـد ظـل هـذا الـتـقـلـيد متبعا من المومسات المسيحيات في الخليج الى عام ١٩٥٦ ! وهذا يذكرنا بقصة الغلام الشهيد وملك قرطبة [٢٦] .

---

٢٥ ــ ص ٢٦٤ الجنس في التاريخ وكان المفروض أن توضع تحت اشراف مصلحة المجارى !

٢٦ ــ انظر فصل اللواط . وهو الغلام المسيحى الذى رفض حب الملك المسلم لانه وثني .

وقد اعجب البابا جوليوس الثانى « بكرخانة » افينون هذه الى درجة أنه فى مطلع القرن السادس عشر أسس واحدة مماثلة في روما ذاتها « وأصبحت مار ية المجدلية ، قديسة المومسات » !

ويمكن أن ندرك مدى انتشار البغاء من حقيقة ان كولومبوس سافر الى أمر يكا عام ١٤٩٣ مع خمسين بحارا أصيب بعضهم « بالزهرى » فى أمر يكا ، ولكن بعد عودتهم بثمانية عشر شهرا كان الزهرى منتشرا فى معظم أورو با !

وتوماس الاكو ينى الذى أباح البغاء هو الذى قيل فيه « لو أمكن تحميل رجل واحد مسئولية تشديد موقف الكنيسة من اللواط ، فهو توماس الاكو ينى فيلسوف وفقيه القرن الثالث عشر » .

وقد عزل احد رجال الدين في بر يطانيا عام ١٢٧٤ بعد ما انجب ٦٥ طفلا غير شرعى[٢٧] .

ولكن استخدام أو اباحة البغاء لم يقصد به مجرد تطهير المدينة من قذارات اللوطيين ، بل استعين بها على فرض التقشف في المعاشرة الزوجية ! فإن محاولة الكنيسة التدخل في فراش الزوجية ، ومقاومة المشاعر الطبيعية ، أدت الى ازدهار البغاء ، ففى العصر الفيكتورى فضل الرجال أو حتى نُصحوا بتفر يغ شهواتهم مع المومسات أو العشيقات ، ليكون الجنس مع الزوجة رفيعا مهذبا باردا رصينا ! « آمن آباء الكنيسة ان الجنس حتى فى الزواج ، لا يسمح به الا اذا كان الهدف منه هو التناسل فقط ، ولو أن الكنيسة الكاثوليكية آمنت بذلك ولونت تلك النظرة ، الفكر الكاثوليكى كله ، فيا يتعلق بالجنس ، إلا أنه تأثيرها كان محدودا ولكن من الغر يب انه خلال القرن التاسع عشر تبنى البروتستانت تعاليم القديس اغسطين

---

٢٧ ـــ المسيحية واللواط ١٣٣ ـــ ١٤٨

اكثر مما فعل اسلافهم الكاثوليك وقال الدكتور اليس ستوكمان الامر يكى عام ١٨٩٤ « ان أى زوج يطلب من زوجته الجماع بغير هدف الانجاب ، انما يحول زوجته الى مومس خصوصية » [٢٨] « واذا لم يكن رجال العصر الفيكتورى قد ذهبوا في التطرف مذهب الدكتور إلا أنه كانت هناك قناعة عامة بأن الرجال لا يجوز لهم اظهار شهوتهم الحيوانية مع زوجاتهم الا في أضيق الحدود مرة في الشهر وهو الأمثل ، أو مرة فى الأسبوع اذا كانت الحالة حرجة [٢٩] ، ويمنع تماما في فترة الحمل أو الحيض . ولكن الرجال وجدوا مصرفا ، بل اعتقدوا أنهم يخدمون زوجاتهم بتصريف طاقاتهم في الخارج ، وأن اللجوء الى المومسات يتفق مع الدين . فالقديس أغسطين خلال مناقشته للجنس قال : إنه لولا خطيئة المرأة ، والتفاحة ، والحية . . لبقى الجماع باردا وعملية عقلية محسوبة وخالصا من كل إثارة وليس الا بعد الخطيئة الأولى ظهرت الشهوة والعاطفة في الموضوع . وقد حمل أطباء القرن التاسع عشر هذه النظرة الى نتيجتها المنطقية ، ففضلوا الجنس مع المومس الذى يتم بلا حب ، عن الجنس مع الزوجة ، فازدهر البغاء على نحو لم يسبق له مثيل . ورغم قلة الاحصائيات . فقد اعترف البوليس بوجود ثلاثين ألف مومس في باريس .

ولكن المصادر الرسمية تقدر الرقم الحقيقى بمائة وعشرين الفا ، ونفس الخلاف ، في لندن ، فقد اعترف مدير البوليس بوجود سبعة آلاف مومس ، بينما قدرهم تقرير احدى الجمعيات بثمانين ألف مومس . وفي فيينا (١٨٢٠) كانت توجد بغي لكل سبعة رجال ، وفى نيو يورك ١٨٣٠ عشرون ألف مومس وفي الفترة ما بين ١٨٣٠ ــ ١٨٤٠ كانت تحال سبعة آلاف امرأة معظمهن من البغايا الى العلاج من السيلان أو الزهرى ، وفى عام ١٨٦٥ عالجت ثلاثة مستشفيات في لندن ، ثلاثين الف حالة من الرجال والنساء . وفى باريس ١٨٦٠ كان اكثر من

---

٢٨ ــ الجنس فى التاريخ .

٢٩ ــ وقد وعدها الاعرابى « أربعا في أربع » فى ليلة واحدة هى ليلة المبايعة !

ستين بالمائة من المومسات اللائى دخلن سجن « سانت لازار» مصابات بمرض سرى ، وخلال ثلاثة شهور فقد الحرس الامبراطورى عشرين الف يوم عمل بسبب تردد رجال الحرس على المستشفيات للعلاج من الامراض السرية . وفي كوبنها جن في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كان كل رجل أو امرأة من بين ثلاثة يحمل أو تحمل اصابة بمرض سرى . وفى أمريكا فى عام ١٩١٤ قدر أحد الخبراء أن نصف الذكور في الشعب الامريكي مصابون بالسيلان » [٣٠] . وهكذا ترى ان الُمنبتّ لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .. وأن التعاليم الاسلامية هي التى نظمت وضبطت الحياة الجنسية بما يكفل الاشباع الكامل النظيف والانسانى ... ووضعت العلاقة التي تنتفى معها الحاجة الى الزنا ..

فالزواج فى الاسلام ، وهو المصرف الطبيعي للغريزة الجنسية ، مطلوب ومأمور به .. وهو أيضا سهل جدا ، لا يحتاج الى طقوس خاصة ، ولا الى رجل ذى صفة خاصة لعقده ، بل يستطيع أى رجل وامرأة أن يتزوجا .. إما بالشهود ، أو بالاعلان ، أو بهما معا .. وأجاز أبو حنيفة الزواج بلاولي و بشهادة فاسقين . ومالك أجازه بلا شهود .

و واضح أن اشتراط الشهود ، أو الاعلان أو هما معاً انما يحميان حقوق الزوجة والأطفال ، فالعادة عند انكار الزواج ، أن يأتي هذا الانكار من جانب الزوج ... ومن النادر جداً وقوع حالة عكسية ، وان وقعت فغالباً بعد وفاة الزوجة ، إثر نزاع على الميراث . ولكن الشهود والاعلان ليست مراسيم ، وكتابة عقد الزواج ليست من نوع الطقوس التى بغيرها لا يتم الزواج شرعاً ، انه كما رأينا ضمانات قانونية لحماية الشريك الأضعف . ولتحويل الزواج من سلوك ذاتي بين ذكر وأنثى الى سلوك اجتماعي ، باشهاد المجتمع عليه . ذلك أن القيد الذي يضعه الاسلام على حرية الفرد هو دائماً أبداً لمنع تعسف الفرد في استخدام حريته بما يضر مصالح الآخرين .

---

٣٠ ـــ الجنس في التاريخ . ويمكن ان يقال الآن إن عشرين مليون امريكى وامريكية مصابون بالمربس .

ومادام يستطيع أي فتى وفتاة بلغ بهما الحب حالة السعار التي تتحدث عنها « فرانسوا ساجان » ... ان يستمتعا بها على سنّة الله ورسوله .. دون انتظار مباركة شخص بعينه ... فلماذا يزني المسلم ؟ إلا إن كان الزنا يتم مع سبق الإصرار عليه ...

ولا أظن اننا سنقف طويلا عند البغاء ، فذلك ليس جنساً ولا حباً ، ولا حتى آدمية ... وما من أحد يجرؤ على المطالبة به اليوم أو الدفاع عنه . وان كان تاريخنا لم يخلُ من بعض الرقعاء . طالبوا باباحته لمنع الكبت والأمراض السرية ! .. منطلقين من نظرية الجاري !

البغاء العام انحطاط للرجل والمرأة ... فلنتركه سريعاً ، حتى ولو سموه باسم « مشاعية النساء » واقترن بما يسمونه الشيوعية البدائية ... فان تكوين الأسرة هو أول الصفات الآدمية ، والملكية الفردية لا دخل لها في استمرار الاسرة .

نناقش اذن الزنا الفردي ... والمرأة في الأغلب الأعم لا ترفض الزواج بالرجل الذي أسلمته جسدها إلا إن كانت تسلم هذا الجسد وحده ، دون قلبها سواء بدافع من الشهوة الحيوانية وحدها ، لأن الحيوان يمارس الجنس بلا حب — بل هناك حيوانات عليا لا يخلو جنسها من حب — والجنس بلا حب حيوانية ، بل سلوك حشري ! أو حرصاً على مكسب غير عاطفي ... أو لأنها ترى الرجل غير كفء لها ، ولكنها تشتهيه ... هذه المرأة تهين نفسها ، وتقر ذلك في أعماق ضميرها وهي تزني ... لأنها تسلم جسدها لمن لا تحترمه ... اذ لو احترمته لتزوجته ، ومثل هذه الزانية سبّة للجنس كله ... أما اذا سلمت المرأة قلبها ، فليس أسعد منها ولا أعظم عندها من أن يختارها الرجل الذي امتلك قلبها ، ومنحته حبها ، شريكة لحياته ، ومكملة لدينه ، وأمًّا لأولادهما .

الغالب اذن أن الرجل هو الذي يحب التملص ... الرجل الذي يمارس الجنس مع المرأة ، وهو لا يريد أن يرتبط بها ولا أن يحمل أولادهما اسمه ... هذا الرجل مهما كان فوران عاطفته ، يخفي احتقاراً للمرأة ...

فتحريم الزنا هنا ، يعني ــ ضمن مايعنيه ــ تحريم احتقار المرأة ...

وحالة أخرى للزنا ، هي تلك التي تتم مع اتفاق الطرفين على استبعاد الزواج ، أي الزنا بحليلة آخر ... وهذا هو الجنس المشوه ، الذي يقوم على خيانة ثالث ... وعلى اقرار من الطرفين بأنها علاقة لا تتجاوز هذه الرعشة المؤقتة مهما احيطت بالشبق والحنان ... فهي مدمرة ، خاوية ، ممتزجة بإحساس وضيع بالخديعة ... خديعة الرجل للمرأة ، يقول بلسانه مالا يتجاوزه الى قلبه ... قلبه الذي يوقن أنها علاقة عابرة بلا مسئوليات ... يهمس في أذنها أنه مستعد « للموت » فى سبيل حبها ... وهي على يقين برفضه « الحياة » فى سبيل هذا الحب ! ..

وخيانة المرأة للرجل ، تريد أحضانه ولكنها لا تقبل العيش معه سوى لحظات مختلسة ، علاقة يغلفها الكذب والشك في واحدة من أصدق اللحظات ... وكيف يصدق الرجل رعشة امرأة وهو يعرف أنها تكررها مع غيره ... ربما بعد ساعات ، وربما قبل ساعات ... وأنى لرجل أن يكتشف الزيف في هذه اللحظات من الصدق ؟ ! وكيف تصدق المرأة رعشة رجل مطمئن تمام الاطمئنان ، انه لا يحمل مسئولية عواطفه ، بل يحملها لرجل غيره ؟ ..

وماذنب الطفل الضائع بين يقين كاذب ، وشك لا يجرؤ حتى على الشك ! ..

من هنا كان زنا المحصن يستحق الرجم ... وكان حديث الرسول عن ابن مسعود « سألت رسول الله : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قال : قلت له إن ذلك لعظيم ، ثم أي ؟ قال : ثم أن تقتل ولدك مخافة

ان يطعم معك ، قلت : ثم أي ؟ قال : ثم أن تزاني حليلة جارك » .

نعم ! الشرك بالله لايتفق وقدسية التوحيد ، وهو انحطاط بالانسان عن المرتبة التي رفعه الله اليها ، فلم يجعل له ربّاً إلا رب العالمين وحده ، والزنا بين المتزوجين ، شرك بالعاطفة الانسانية الصادقة ، وخيانة للحب واهدار للجنس .. لأن الزواج عندنا ليس ورقة اذ لابد ، فى الزواج الاسلامى ، من الارادة الواعية والاختيار الحر ، فما دامت قد اكتملت الارادة الواعية وعبرت المرأة باختيارها الحرّ عن رغبتها في هذا الزواج ، فليس من حقها أن تخون ثقة شر يكها في هذا الزواج ... ونفس الشيء للرجل المتزوج .

فان قيل : أن القلب متقلب ، وإن الاختيار قد يخطىء ، والارادة قد تضل ... قلنا : إن الدين يسر لاعسر ... فإن حق تصو يب الخطأ مكفول عندنا ... ما الذي يمنعها من الطلاق وزواج من تحب ! ؟ ..

والاسلام قبل أن يشرع رجم الزانية المتزوجة ... ألغى القيود التي كانت تعترض زواج المطلقة . ففي الشرائع الأخرى ، كان زواج المطلقة زنا ! .. ومن ثم كان القرار الذي يتخذ بالزواج يستحيل الى قيد رهيب على ارادة الانسان ، رجلاً كان أو امرأة ، لايستطيع الفكاك منه ... فجاء الإسلام وحررنا من هذا الرق ... ولذا فليس ثمة مبرر واحد لكي يزني المسلم أو المسلمة ...

والحر ية الشخصية عندنا قد اكتملت للرجل والمرأة بحق الحب والزواج ثم بحق الطلاق ... لا بالتفر يط أو بالاباحية الجنسية ، فليست الإباحية هي مرادفة الحر ية ...

فتحريم الزنا في الاسلام لاينبعث من كراهية الجنس بل من احترام الجنس ... وتنزيهه عن العبث ، ومن احترام المرأة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة الرجل ... وحتى لاينسب الطفل لغير لحظة الحب التي أنجبته ... واذا علمت أن

الزنا لا يجوز إثباته بالتجسس أو الشبهة ، وأن عقوبة الرجم لم تطبق في التاريخ الإسلامي إلا على معترف أو معترفة ، وأن هذا الزاني المعترف لو أنكر بعد أن أصابته الأحجار ، بل لو فرّ هارباً من الأحجار لوجب وقف تنفيذ الحد . . . وأنه في العصور الوسطى للاسلام ، لا لأوروبا ، أوشك سلطان المماليك أن يواجه ثورة حنفية لأنه رجم زانياً معترفاً ، ولكنه عدل عن اعترافه في آخر لحظة ! . . أقول : إذا علمت هذا ، إذن لعرفت أن عقوبة الزنا قد عبرت فيما عبرت عنه ، عن احترام عميق للمرأة ، وتقدير عميق للجنس . . . فما من شبهة فرض ، ولو خيالي لظرف ، يجبر فتى وفتاة على الزنا في نظام الزواج الاسلامي ، الذي بلغ القمة في تحرره و بساطته ، وقدسيته في نفس الوقت . . .

واذا عرفنا أن « الخلفاء والفقهاء أفتوا بأن الرجل اذا شرط مبلغا من المال أو شيئا ذا قيمة مقابل وطء المرأة ، فلا حد للزنا ولكنه زواج ، فقد أعطاها أجرها وهى قبلت » والفكرة أن الزواج عرض وقبول من طرفين ليس بينهما مانع شرعى — قانونى من الزواج . وما عدا ذلك فهو طقوس لا أهمية لها . وهذا ما جعلنا نستنتج أن « الزنا » الذى يحاربه الاسلام و يركز عليه هو الزنا الذى يتم بين شخصين يستحيل زواجهما ، وهذا هو « الزنا بحليلة جارك » أى بالمرأة المتزوجة عموما ، وإن كان الحديث قد ورد بصيغة الوصايا العشر [٣١] .

وقد حلا لبعض المشككين . فترة من الوقت . الطعن في الأسباب التى أدت الى تحريم الزنا . مما يطرحه الذين يحاولون « تبرير » الاسلام . . فقالوا عن

---

٣١ — بعض الصبية الذين يعادون الاسلام لأسباب عائلية يثيرون شغباً حول كلمة « أجرها » وكأنها الأجرة التى تدفع للمستخدم بالمفهوم المعاصر ، وقد ورد لفظ « الأجر » فى القرآن مائة وثماني مرات ٦ مرات بمعنى المهر للنساء و٥ مرات بالمعنى الحرفى للأجرة والباقى كله ٩٧ مرة بمعنى الجزاء أو المكافأة والثواب وهذا هو المعنى الأرجح بأغلبية الاستعمال الساحقة ، وعندما يقول الرسول « إن أجرى إلا على الله » فلا يمكن أن يكون « الأجر » كلمة معيبة .

اختلاط الانساب أنه يمكن ضبطه بوسائل منع الحمل ، ولما اكتشفت مركبات السلفا عام ١٩٣٥ والبنسلين عام ١٩٤١ . شاع الاعتقاد بأن الانسان قد تخلص نهائيا من الأمراض السرية ، وسقطت حجة الأخلاقيين والمتدينين في نفد الزنا أو العلاقات الجنسية غير المحدودة ، وقل حرص طلاب اللذة الحرام ، حتى أصبح يعالج من « السيلان » كل عام في الولايات المتحدة وحدها ثلاثة ملايين .. وفى العالم كله مائة مليون ! ولكن من ذا الذى يهتم ان هى إلا « كورس بنسلين » ..

ولكن سرعان ماتلبد الجو .. فالميكروبات ككائن حى ، لا تكف عن تطوير مقاومتها للمبيدات . فهى لا تفل حرصا على الحياة ، ولم يقتصر الأمر على ظهور أجيال من ميكروب السيلان أو الزهرى تحتاج الى جرعات أكبر ، وربما مركبات أقوى وعلاج أطول ، بل تطور ميكروب عادى من ميكروبات البرد الى أخطر وأوسع الأمراض السرية انتشارا (Herbs) وهو غير قابل للشفاء حتى الآن ، ولذلك نسميه نحن « الانفلونزا الجنسية » اذ يقال إنه من فصيلة ميكروب الأنفلونزا .. وهو ينتقل بأى تلامس جنسي ، من الفم أو الجهاز التناسلى ، أو حتى الشرج .. و يبقى في الجسد فلا يخرج منه ، وسرعة انتشاره ، وعدم القدرة على علاجه ، جعلتنا نختار له تسمية « الانفلونزا » و يقدر عدد المصابين به في الولايات المتحدة بعشرين مليونا ! وهو أبرز آثار « الثورة الجنسية » التى اجتاحت أمريكا في الستينيات ، و بعد انتشار المضادات الحيوية ، وحبوب منع الحمل ، وشيوع أو علانية الشذوذ الجنسى . وتبادل الزوجات ، والجنس الجماعى .. وقد أشرنا الى المرض الآخر الأشد خطورة والذى لا علاج له ، الذى ينتشر بين اللوطيين . وهو (الإيدز- AIDS)

ولا حاجة لأن يرد أحدهم بأن الطب سيكتشف دواء للمرضين حتى وان كان لم يكتشف دواء للأنفلونزا رغم مرور سبعين عاما على فتكها بالعالم فى حمى الأنفلونزا الأسبانية (١٩١٩) . ولكننا جد واثقين أن العلم سيكتشف دواء لكل

الأمراض الموجودة حاليا ، إلا أننا أيضا و بنفس اليقين نؤمن أن الأمراض ستطور نفسها ، وستظهر أجيال أكثر قدرة على مقاومة الدواء- بل وستظهر ميكرو بات وفيروسات جديدة ، متحولة أو مولدة تحمل أمراضا وأعراضا لم يسبق ظهورها ، ولا دواء لها لفترة من الوقت .. فما دام « البغاء » أو الزنا يمارس .. أى الا تصال الجنسي المفتوح ، غير المحدود الأطراف .. فلابد أن تظهر الأمراض السر ية .

والأصل في الاستمتاع الجنسي هو الاقبال أو الاشتهاء بلا تحفظ ، والممارسة بلا قلق ، ثم الاسترخاء بلا ندم أو خوف .. وهذا لا يتأتى إلا في علاقة شرعية حتى اذا أمن الطرفان كل القوانين والمفاجآت وكان الزنا مباحا كما هو الحال في بعض البلدان .. فإن هذا الاستمتاع لا يتحقق اذا كان المستمتعان يبدآن بالشك في نظافة كل منهما ، ثم يتخذان الاحتياطات ، و ينتهيان بالقلق والمبادرة لازالة الآثار تحسبا للأخطار .. !! وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أنه بعد ظهور المرضين الجديدين « الهربس والايدز » .. هبطت نسبة ممارسة الجنس بشكل حاد في أمريكا .. وتشهد المحاكم الآن دعاوى مرفوعة من « محبين » ضد بعضهم بتهمة « رمتنى بدائها وانسلت » ..

و باختصار اذا كان أبشع الزنا ، هو الزنا بين المتزوجين ، فإن الزنا عموما يحمل شرا خطيرا ، والجنس يجب أن يكون في دائرة مقفلة [٣٢]

وقد شرحنا في كتابي « دراسة فى فكر منحل » ، رأينا في سبب تشريع عقوبة « الرجم » حيث أثبتنا أن المسلم المحصن لا يحتاج للزنا الا اذا كان قد انتوى الغدر والفاحشة .. غير اني أحب اليوم أن أقول كلمة حول هذه العقوبة ...

٣٢— أى تشمل تعدد الزوجات ، لأنها مادامت مغلقة على الرجل الواحد ونسائه فلا سبيل لتفشي الأمراض السر ية .

وقد سبق منا القول ، أنها موجودة في التوراة . وان الاسلام لم يخترعها ، حتى يسمح المبشرون المنافقون لأنفسهم بالحملة على « وحشية » الاسلام ! أو أنهم يرون ان ماكان يليق « دينيا » في عهد « موسى » لايليق في عهد المسيح أو محمد ، أو بمعنى اكثر دقة ، ما كان جزاء عادلا فى شريعة موسى يصبح وحشية وتخلفا في شريعة محمد ؟! هذا موقف من مواقف النفاق الفاجر ، فإما أن ينتقدوا التوراة و يقولوا انهم اضطروا الى تنقيح قانون اله التوراة لأنه متخلف ، وأما أن يكفوا ألسنتهم عن نقد الاسلام .

وقد كان أول تطبيق للرجم فى المدينة . أو فى تاريخ الاسلام كله ، في حادثة اليهودية التي احتكم أصحابها الى النبي فحكم فيهم بالتوراة ، وكان في ذلك مافيه من اعلام النبوة ، وعدل النبى .. ففيها علم رسول الله بأحكام التوراة واثبات أن اليهود لايلتزمون بتوراتهم والا لما جاءوا الى الرسول يطلبون حكما ، وكأنهم يلتمسون مخرجا من أحكام دينهم ، وفيها أيضا جواز حكم الأقليات فى القضايا الشخصية بأحكام دينهم ، وفيها العدل باخضاعهم لشريعتهم . أما المسيح فقد رفض رجم الزانية في حادثة تماثلها ، و يبدو أن زانيات اليهود يُمتحن بهن كل نبي ! والسبب في امتناع المسيح ، أنه لم يجد في متهميها من يرقى الى مرتبة الشاهد العدل ، فقال لهم : « من كان منكم بلاخطيئة فليقذفها بأول حجر» وشهد الله أنهم لم يجمعوا خطيئة المعصية مع خطيئة النفاق . ولذلك امتنعوا عن الرجم .

ورفض المسيح تنفيذ الحد لأنه كان ــ كما قلنا ــ يتجنب ممارسة السلطة ، يتجنب التدخل بأية صورة فيا يتعلق بنظام الحياة في المجتمع أو الدولة .

أما الرجم في التشريع الاسلامي ،فلاشك أنه مورس فى عهد الرسول في حادثتين . نشأتا بالاعتراف الاختيارى والاصرار عليه ، والروايات مجمعة على أن رسول الله كان يتمنى لو وجد سبيلا لمنع تنفيذ الحد . وتمنى لو أن أصحاب

لم يبلوا السلطة الاسلامية بأنفسهم فقد حاول الرسول بكافة الطرق والحجج منع تنفيذ الحد بالبحث عن شبهات ، ولكن المذنب في كل حالة ، أصر على الاستشهاد ، أو التطهر .. وثابت أن الرسول لم يرجم بنفسه ، ولا شاهد الرجم ، بل عاتب المنفذين ، لأنهم استمروا في الرجم حتى بعدما حاول المتهم النجاة بجسده من ألم الضرب ، فقد اعتبر ذلك التصرف منه « عدولا عن الاعتراف .. » وعاقب النبى خال ماعز لأنه لم يستر عليه بثوبه أى لم يخف خبر زناه عن السلطة !

كذلك اشرنا الى القيود التي وضعها الشارع لثبوت التهمة ، وهي الأربعة شهود من الرجال ـ الذين كان يستحيل توافرهم قبل ظهور الجنس الجماعي .. وحجتنا أن هذا النصاب لم يتوافر قط في تاريخ الدولة الاسلامية عبر ١٤ قرنا ، فلم نسمع عن عقوبة الرجم للزنا ثبتت بالشهود ، ومرة أخرى فإن الشاهد الرابع الذى برأ « المغيرة » وجعل عمر رضى الله عنه يهتف « الله اكبر » اذ ثبتت بشهادته براءة المغيرة .. هذا الشاهد « النفي » .. شهد بأنه رأى « أقداماً بادية وأنفاسا عالية ، وأمراً منكراً » . واعتبر ذلك غير كاف لاثبات الزنا .. اذ لابد كما هو معروف من اثبات التفاصيل التى أشرنا اليها ..

وشروط الشهادة ، واستبعاد شهادة النساء [٣٣] ، واشتراط وقوع الشهادة وقت الفعل ، وتحت تأثير الانفعال من المنظر ، وليس بعد مدة لكى لاتكون ، عملية ابتزاز أو ضغينة ولذلك قال عمر « ايما قوم شهدوا على حد ، ولم يشهدوا عند وقوعه ، فإنما شهدوا عن ضغن ولا شهادة لهم » .

---

٣٣ ـ حكمة منع شهادة المرأة في جرائم الزنا متعددة : منع الثرثرة وانتشار الاقاويل ، وأهم من ذلك تجنيب حياء المرأة من مساءلة القاضي والدفاع في التفاصيل المطلوبة لاثبات صدق الشهادة وإلا تعرضت لعقوبة القذف ، ثم لايخفى مايثور في محيطها هي من تساؤل عن كيفية تمكنها من دقة الرؤية ؟ .

ثم حض المسلم على كتمان الشهادة ، أو التستر على الفاعلين بعكس جرائم الحقوق حيث يحث الدين المسلم على اظهار الحق ، ويحث المسلم على الشهادة ، إلا في جرائم الجنس ، فقد طلب من الفاعل أن يكتم ذنبه ، فلا يعرض نفسه للعقوبة بالاعتراف ، بل يكتفي بالتوبة بينه و بين الله . ولا يعلن الأمر ولا حتى للسلطة فقد قال رسول الله : « من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يُبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله » .

وقال « من أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو الى الله عز وجل إن شاء غفر له وان شاء عذبه » . وعن الشافعي « : نحن نحب لمن أصاب حداً ، أن يستتر وأن يتقي الله عز وجل ولا يعود لمعصيته » .

ثم طالب الدين الناس بالامتناع عن الشهادة ، الامتناع عن « التبليغ » عن مرتكبي هذا الفعل ، بل وجعل الكتمان أو التستر عملا صالحا يكافئه الله عليه : « من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة » حديث . وعن ابن ماجه عن ابن عباس عن رسول الله : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه فى بيته » .

ولا أدرى ماالذى يغرى مسلم بالتبليغ عن واقعة جنسية وهو إن اضطربت شهادته أو تناقضت مع شهادة واحد من ثلاثة آخرين ، تعرض للجلد والتشهير ورفضت شهادته بعد ذلك على جميع مستويات التقاضي ، وإن ثبتت شهادته كان ذلك « بشرى » له بأن الله سيفضحه فى بيته ! !

لا أظن أن أحداً يفعلها إلا إن كان من هواة الشر والشغب والذين يحبون أن تشيع الفاحشة ، ولذلك تلمس عمر بن الخطاب رضى الله عنه براءة « المغيرة » بما توسمه من صلاح الشاهد ، ولا بد أنه أدرك أن تطوع هؤلاء بالشهادة يخفي أهدافاً سياسية ، تتعلق بخلافهم مع المغيرة أو السلطة أكثر مما هو غيرة على الحرمات أو فهما للدين .

ثم يأتي حض السلطة على تلمس اسقاط العقوبة بكافة الوسائل ، ومنها اغراء المتهم بالانكار أو طرح شبهة كأن يقول بأن الفعل لم يقع تماما .. الخ وعن عائشة : « ادرأوا الحدود بالشبهات عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن السلطان لئن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء بالعقوبة » .
وهذا ما جعل بعض الفقهاء يقولون : ان عقوبة الزنا « عقوبة قصد بها الزجر والردع والارهاب أكثر مما قصد بها التنفيذ والفعل » [٣٤] ومعهم حق فنحن أمام عقوبة لاتطبق إلا على « معترف » يتحدى السلطة والمجتمع و يصر على اعترافه و يطالب بتنفيذ القانون فيه .. هو شخص قرر أنه لا يستحق الحياة ، وجاء يستعدى السلطة على نفسه .. ولكني افضل لوقلنا أن العقوبة القاسية ، قصد بها « التبغيض » وابراز بشاعة الجرم ، ومدى استنكار الدين له ، حتى أن مرتكبه تسقط حرمته ، و يسقط حقه في الحياة . فهي أكبر من الحياة ، لأننا لو قلنا أنها عقوبة لم يقصد بها التنفيذ والفعل ، استدلالا من القيود الهائلة التي تبطل التنفيذ العملي ، أو كما قال سيد سابق : فاشترط المشرع شروطا يكاد يكون من المستحيل توافرها فإن حكمة الزجر والردع والارهاب تنتفي ، فالعقوبة قصد بها ردع النفس المسلمة وابراز ان زنا المحصن امتهان للنفس وامتهان للشر يك وخيانة وغش لطرف ثالث ، فهو جريمة لا تليق بكرامة انسان حر رجلا كان أو امرأة .. وهذه هي الفاحشة .

فالمشرع يعتبر « اشاعة الفاحشة » أخطر من « الفاحشة » ذاتها ، فهو يود لو لم تقع « الجريمة » و يود أيضا ألا تنفذ عقوبة .. ولذلك كان التحذير من رمي المحصنات ومن اشاعة الفاحشة أقوى ، بل و بداية التشر يع . وهذا عن جرائم الزنا « بتعر يفنا » أما مادون الوطء فيستحسن التغاضي عنه حتى من قبل السلطة و بعد ابلاغه اليها وخاصة اذا كان من طرف الفاعل .

٣٤ ـ سيد سابق

قال رجل لرسول الله : « إني عالجت امرأة من أقصى المدينة فأصبت منها ، دون أن أمسها ، فأنا هذا فأقم على ما شئت . فقال عمر بن الخطاب ستر الله عليك لوسترت على نفسك » (تأمل !) ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم ، شيئا . فانطلق الرجل فأتبعه النبى رجلا فدعاه فتلا عليه :

« واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » فقال له رجل من القوم يا رسول الله أله خاصة أم للناس عامة ؟ فقال للناس عامة [٣٥] .

واستدل الشيخ « سيد سابق » من ذلك على أنه « : اذا كان الاستمتاع بالمرأة الاجنبية فيما دون الفرج فإن ذلك لايوجب الحد المقرر لعقوبة الزنا وإن اقتضى التعزير» .

ولا أظن أن الشباب يتجاوز هذا ، فيما يحدث فى العربات ، أو أثناء المذاكرة أو حتى فى دور السينما أو فى خلوة مختلسة سريعة بفعل الرغبة وفورة الشباب والعاطفة ، والله غفور رحيم .. فإن اتيحت الخلوة « الشرعية » وتأكدت النية والفرصة للطرفين لفعل الوطء . فما من سبب يحول دون اتمام ذلك بالزواج ولو فيما بينهما . والزواج العرفي معروف ومشهور بل و بعض الشيوخ افتوا بزواج المتعة في بلاد الغربة وأنا أميل لرأيهمَ .

وقبل أن ننتقل لحديث العقوبة ، نقول إن الاسلام الصالح لكل زمان ومكان ، يثبت اليوم أن العقوبة لم تكن خيالية ، إذ يمكن أن يأخذ المشرع يوما بقبول الصورة أو الشريط السينمائي وتأكيد أربعة خبراء أن ما جاء به هو فعل الوطء الكامل ، كما يجوز اثبات الزنا بالحمل مع استحالة نسبته للزوج ، أو بتحليل دم الطفل .. الخ ما يمكن أن يكتشفه العلم ..

٣٥ــ رواه مسلم وابوداود والترمذى

في عقوبة الزنا

وعقوبة الزنا كما قلنا هي الرجم والجلد ، الأولى بالسنة والثانية بالقرآن قال الله تعالى :

« واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سبيلا » .

ففى البداية كانت عقوبة النساء هي تحديد الاقامة في المنزل ، مع وقف المعاشرة الزوجية — على الأرجح — و يقول الشيخ سيد سابق إن العقوبة كانت أولا الايذاء « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما . فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما » « النساء ١٦ ثم تدرج ذلك الى الحبس في البيوت وذهب الى القول : أى والنساء اللاتي يأتين الفاحشة وهي السحاق الذى تفعله المرأة مع المرأة فاستشهدوا عليهن أربعة من رجالكم فإن شهدوا فاحبسوهن في البيوت بأن توضع المرأة وحدها بعيدة عمن كانت تساحقها ، حتى تموت أو يجعل الله لهن سبيلا الى الخروج بالتوبة أو « الزواج المغنى عن المساحقة » .

وفى موضع آخر قال ان الآية يقصد بها اللوطيون والسحاقيات ، وهذا على أية حال يعنى أن اللواط والسحاق اذا كانت قد وردت لهما عقوبة في القرآن فهي الايذاء مع اتاحة الفرصة للتوبة والصلاح فلا يمكن أن يصل الايذاء الى حد القتل كما افتى البعض اذ ليس بعد القتل توبة ولا إصلاح .

ثم نزلت آية :

« والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله . إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وينسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عند نزول الآية : « خذوا عني .. خذوا عني .. قد جعل الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » .

وذهب « سيد سابق » الى أن الله قد جعل لهن بهذه الآية سبيلا يخلصهن من انتظار الوفاة في البيت !!

والحديث المنسوب لرسول الله ، مما تنفر منه النفس المسلمة ، اذ لايمكن أن يكون الرجم سبيلا لخلاص امرأة محددة اقامتها ؟ ! فالحياة أفضل سبيلا من الموت . والأمل فى التوبة أو ثبوت البراءة أكبر مع استمرار الحياة .

اما الموت فبئس السبيل . كذلك فإن الرسول لم ينفذ ماورد بالحديث فهو صلوات الله عليه لم يجمع الجلد مع الرجم .

أما « سيد سابق » فيفهم من تعليقه أنه يتحدث عن « الجلد » فهو السبيل المخلص من انتظار الوفاة بالبيت .

وقد ثار الشك في نفوس المسلمين حول مصدر التشريع فى عقوبة الرجم في صدر الاسلام . مما جعل عمر يقول أو ينسب له القول . فعن ابن عباس قال خطب عمر فقال :

« ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا . وإني خشيت إن طال زمان أن يقول قائل : مانجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالى فالرجم حق على من زنى من الرجال والنساء اذا كان محصنا وإذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف . وأيم الله لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله تعالى لكتبتها » .

أما الآية ، تلك التي يتحدث عنها ، فقد وردت عن امامة بن سهل عن خالته العجماء وعن أبي بن كعب : « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة » . وأول مايتبادر الى خاطري أن هذه ليست آية قرآنية ولايمكن ان يقبلها من له حس قرآني ، ولكنني أقول لكي لانطعن في شهادة خالته العجماء وأبي بن كعب ــ وان كنت قد لاحظت أن رواية ابن عباس عن عمر لم تتضمن الآية ــ اقول إن من إعجازه سبحانه وتعالى أن الآية التي تنسخ تفقد جرسها القرآني أو موسيقاها ، وليس ذلك على الله بعزيز . أما خطبة عمر فقد كان يمكن أن نحذفها كلية ، لضعف آخرها ، ونبوه عن منطق أمير المؤمنين عمر « لولا أن يقال زاد عمر .. الخ » ! ما أبرده من سبب وأسخفه من قول ، معاذ الله أن يصدر عن أمير المؤمنين . أكل مايمنع عمر من الاضافة للقرآن ، وإعادة قيد مانسخ الله ، هو مخافة قول الناس ؟ ! وأي عجب أن يقول الناس « زاد عمر » إذا أضاف فعلا ، وإلا فماذا يعني قوله « لكتبتها » إلا الزيادة ؟!

هذه الفقرة لم ترد على لسان عمر ولا ابن عباس ، بل هي زيادة مستزيد لا يخشى أن يقول الناس عنه « زاد في خطبة عمر» .

فإذا سلمنا بجوهر الحكاية فاننا نستخرج منها الآتي :

● الآية كانت موجودة وهي التي تنص على رجم الزاني والزانية ، ولكنها نسخت أي حذفت من القرآن حذفها الله سبحانه وتعالى ، وعلى هذا اجماع المسلمين .. وإن قالت أغلبيتهم بأن حكمها بقي .. ودليلهم فعل رسول الله .

● ونفهم أيضا من خطبة عمر رضي الله عنه ، أن من حق المسلمين ، ان يقولوا الرجم لم يرد في القرآن ، فمن حقنا ابطاله ، لأن عمر بنص الرواية قال : « أخشى إن طال زمان أن يقول قائل : مانجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلون بترك فريضة انزلها الله تعالى .. الخ » فرغم ثبوت السنة بالرجم ، إلا أن أمير المؤمنين عمر رأى في عدم وجود نص قرآني ، حجة يستند اليها من يدعو لابطال العمل بهذه السنة .

ومن ثم حرص على التأكيد بأنها « فرض » من الله سبحانه وتعالى ورد في القرآن ، وإن نسخ النص .

وقد ذهب هذا المذهب الخوارج وبعض المعتزلة فقالوا بأن الرجم غير واجب ، وحجتهم أنه لم يذكر في القرآن . وعلق سيد سابق على ذلك بأنه باطل ، وهو يقصد طبعا أن السنة ملزمة ، ولكن الرواية المنسوبة لعمر، تشير الى أنه لم يذهب هذا المذهب ، وإلا لا كتفى بتأكيد السنة ، ولم يخف أن يقول قائل بابطال الرجم لأنه لم يرد فى كتاب الله ..

● ونحن نتساءل عن تفسير لقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« اجلدها بكتاب الله وارجمها بقول رسول الله » وفى رواية « بسنة رسول الله » وذلك عندما جمع بين الجلد والرجم .

لماذا لم يقل على بن أبى طالب : « وارجمها بحكم الله » ؟ !

لماذا فرق بين مصدر التشريع ، فنسب الجلد الى الكتاب والرجم الى السنة ؟ ! إلا لأن هذا هو الواقع فعلا ، فالرجم لم يرد في كتاب الله ولا أمر الله به سبحانه وتعالى مباشرة وبصريح اللفظ ..

وإذا كانت الآية قد نسخت وبقى حكمها ــ كما تقول الأغلبية ــ أكان ذلك يخفى عن على بن أبي طالب شيخ الفقهاء وأولهم باجماع الأمة ؟ ؟ أو كان يعجزه التعبير عن هذا المعنى وهو سيد البلاغة ؟ ! .. ولماذا ندور كالدبور وقد وضحها أمير المؤمنين بأوضح ماتكون الألفاظ : « الجلد من كتاب الله والرجم سنة » ..

ولعل هذا هو ما استند اليه بعض الفقهاء في قولهم ان الرجم هو نسخ للكتاب بالسنة .

وعقوبة الجارية نصف عقوبة الحرة قال الله تعالى : « فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم .. » الآية .

فلو قلنا أن حد المحصنات هو الرجم فكيف ينتصف هذا الحد ؟ ألا يوقعنا هذا السؤال فى حيرة أمام النص الواضح ؟ !

وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وابن مسعود والحسنى والنخعي ومالك والأوزاعى وابو حنيفة والشافعي رأوا « أن حد العبد والأمة خمسون جلده بكرين كانا أو ثيبين » . ألا يعنى هذا أنهم قضوا بنصف العقوبة . ؟ !

وذهب بعضهم الى جلد الأمة مائة جلدة اذا لم تحصن والاقتصار على خمسين اذا أحصنت ؟ ! لكي ينسجم مع حكم الآيتين ، الأولى لما ورد بها من تعميم الزانى والزانية فاجلدوهما مائة جلدة . والثانية بالتخصيص ! وهو تناقض من أصحاب هذا الرأى اذ تصبح عقوبة الثيب أو المحصنة أقل من عقوبة البكر ؟ !

على أية حال ، يبقى السؤال : اذا حكمتم بأن نصف العذاب على المحصنات = خمسين جلدة ، فإن المنطق والفهم والحساب يجعل العذاب الكامل = مائة جلدة وليس الرجم . وسبحان من لاينطق وحيه عن الهوى .

و يبقى من حقنا أن نتساءل ، ومن حق الله علينا أن نتفكر : لماذا نسخ الله الآية ؟ .. لماذ نسخ العزيز الحكيم ، آية الرجم من القرآن ومحاها محواً من كتابه الكريم ؟ بل محاها من قلوب الناس ، فإن كان هذا النص الركيك ، فقد نسخ حرفها وجرسها و بيانها ، حتى جاءت غريبة تنكرها اذن المسلم ؟

لقد أشبع القدماء قضية حدوث النسخ بحثا .. ألم يحن الوقت لان نتفكر فى سببه ؟ !

فإذا انتقلنا الى بحث انواع الجنس الأخرى ، غير الجماع بين الرجل والمرأة ، فانه تجدر الاشارة الى مايقوله علماء النفس ، عن تطور احساس الانسان الجنسى ، أوطلبه للذة الجنسية عبر ثلاثة اكتشافات ، خلال نضوجه البيولوجي والنفسى وهى :

جسده . .
الجنسية المثلى . .
ثم اكتشاف الجنس الآخر . .

ونحن لن نخوض فى مناقشة صحة أوخطأ ذلك ، ولا مدى صوابية تعميمه ، فهذا أمر خارج نطاق البحث . ولكن نناقش الأفعال الجنسية المحتملة في كل حالة ، من الحالات الثلاث . ومايمكن أن يترتب عليها من حدود ، وماوردفيها من نصوص ، وآراء . . ومن ثم ما الموقف الاسلامى منها . .

وأول مرحلة هي - كما قلنا - استحداث اللذة من ذات الجسد ، و يتبادر الى الذهن على الفور مايسميه العرب « جلد عميرة » ، وهو معروف لدى الذكر والأنثى ، و يطلق عليه العلماء « الاستمناء » والتسمية الشائعة هى « العادة السرية » وهى تسمية قبيحة ونحب أن نحدده بأنه : كل حالة قذف يحققها الذكر

أوالأنثى بدون الجماع (الشائع أن الأنثى لا تقذف ، والمقصود هنا ، هو وصولها الى منحنى النشوة ، كما يحدث للذكر ولو دون خروج سائل ملحوظ ، وهو مايميز الذكر ، ولكن منحنى الأنثى شديد الوضوح وان كانت دراسات حديثة تشير الى وجود قذف عند المرأة ، إلاأن هذا ليس المهم . فما نتحدث عنه هو وقوع الاستفراغ .. أوقضاء الشهوة) فإذا تم بين الانسان نفسه ، أى بدون اشتراك طرف آخر ، فهو هذه العادة السرية ، أوالاستمناء أوجلد عميرة .. أما الحالات الأخرى التى يتم بها القذف أوالاستفراغ بمشاركة الطرف الآخر دون الجماع ، فأحكامها متعددة وهى ماتندرج تحت الاصطلاح الاسلامى الجميل « الملاعبة » وبالاصطلاح الغربي الغليظ Oral Sex .. الجنس الجاف .. أوالشفهى ..

وأول مايرد على الخاطر بالنسبة « لجلد عميرة » أوالعادة الجنسية هوسؤال : اذا كان الله قد أباح لنا نكاح ماملكت اليمين .. فلماذا لاننكح اليمين ذاتها .. ؟!

لقد حرمت التوراة ، جلد عميرة أو« الاستمناء » انطلاقا من قصة « اينوس » الذى ضن بمنيه على أرملة أخيه التى تزوجها رغما عنه بموجب شريعة اليهود ، التى تفرض على الأخ ، التزوج من أرملة أخيه ، ولكنه كره أن تنجب منه ، فكان يهدر منيه على الأرض بالاستمناء . فالأصل فى الاستنكار هو اهدار المني . ولاشك أن الاهدار المتعمد مستنكر من ناحية نتائجه الاجتماعية والديموغرافية أوالحضارية . خاصة الاهدار المتضمن نزعة عنصرية ، ولكن في حالة المراهقين غير المتزوجين وغير القادرين على الزواج أوالصوم الدائم ، فإن الاهدار محتوم ، ولعل أكثر صوره طهارة أو بُعداً عن الشبهات ، هي حالة الاستكفاء الذاتي هذه ، فلا اهدار ، ولافاحشة ، لأن الفاحشة لاتتم إلابالمشاركة أوالمجاهرة ، أوبهما معا .. كذلك لوتصورنا حالة زوجية ، يتعذر فيها الاخصاب مثل فترة الحيض ، أوالحمل ، أومرض الزوجة ، أوالمفارقة المؤقتة ، فإن اللجوء الى جلد عميرة يبقي الرجل عند حدود الحرمات ، ويجنب أبا عميره نفسه ارتكاب معصية قد تفضي الى جلده هو.

وقد قال الحنابلة عن الأستمناء : « اذا استمنى الرجل خوفا على د الزنا ، أوخوفا على صحته ، ولم تكن له زوجة ، أوأمة ، ولم يقدر على الزواج فلاحرج عليه وقال الأحناف بوجوب الاستمناء اذا خيف الوقوع فى الزنا . وقالوا لابأس به اذا غلبت الشهوة ، ولم يكن عنده زوجة أوأمة ، واستمنى بقصد تسكينها » .

وقيل مس الرجل ذكره بشماله مباح باجماع الأمة كلها .. اما الاستمناء فلم يرد فيه تحريم ، وأباحه ابن عباس والحسن و بعض كبار التابعين . وقال الحسن : « كانوا يفعلونه في المغازى » ، وقال مجاهد : « كان من مضى يأمرون شبابهم بالاستمناء .. يستعفون ذلك » .

وحكم المرأة مثل حكم الرجل فيه .

انظر كيف كان من مضى أكثر تسامحا ، وأكثر فهما لروح الاسلام ، واكثر قدرة على تفهم احتياجات الانسان ، وكيف يجأر الآن شيخ مكبوت من فوق المنابر يحذر الفتيان من العادة السر ية وهو مصطلح غر بي منحدر من الديانة اليهودية ــ المسيحية . وتأمل أنهم أباحوا ذلك فى زمن كان يمكن فيه للمراهق فى سن الثالثة عشرة أن يمتلك جار ية يفرغ معها شهوته ، بينما يحرمونه الآن على شباب يعيشون فى أورو با وأمر يكا بلازوجة ولاجار ية حتى مشارف الثلاثين ..

وأذهب الى القول بأن مساعدة الزوجة لزوجها في التخلص من التوتر بغير الوطء ، تجعل العملية أكثر حلالا ، وأقل شبهة ، وأكثر صحية . واذا كان عليه الصلاة والسلام قد مارس مع زوجاته أومع عائشة بالتحديد ، أنواعا من الجنس غير الوطء ، مثل حديث كان يأمرها أن تأتزر اذا جاءها الحيض ثم يباشرها ، أى من الخارج ، أوكما ورد في احدى الروايات « كان يفخذ لها » فهذا دليل صر يح على مشروعية مايسمى فى الغرب ، « بالجنس الشفهي » ، أى الوصول الى الاشباع بغير الايلاج أوالوطء . وماوصل الينا من سنته صلوات الله عليه ،

مـا هـو الا المؤشر ، أوالمبشر الميسر على الأمة ، فهو ليس اكثر من رمز ، ولا يتصور أن تـرد الحالات على سبيل الحصر . وليس لنا أن نحرم مالم يحرم علينا ، فكل مايسبق الجـمـاع أوحـتـى يحل محله ، مثل التقبيل والمص ، والتفخيذ ، والاستمناء للرجل بـواسـطـة الـزوجـة ، واسـتـفـراغ الـزوجـة أو اسـتـنـزالهـا بغير وطئها ، كله مباح ، ومـسـتـحـب . بل قد نهينا عن المواقعة ـــ أى الجماع ـــ قبل الملاعبة ، وقال الرسول للـذى أراد الـزواج : « فـهـلا بـكـر تـلاعبهـا وتلاعبك » و يذهب البعض الى ان المـلاعـبة قبل الجماع فرض نبض الآية : « نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شـئـتم وقـدمـوا لأنـفـسـكـم واتـقـوا الله ، واعـلـموا انكم ملاقوه ، و بشر المؤمنين » والمـلاعـبة وإن أفضت غالبا الى الجماع ، إلا أن ذلك ليس ضربة لازب ولا نتيجة محـتـومـة فـي كل مرة ، فقد تنتهي الملاعبة بالحرث في البحر ، وقد تكون هدفا في حـدذاتهـا ، دفـعـا لـلـسـأم أومـن باب التغيير ، أولز يادة الألفة والمحبة ، وبحثا عن مـز يـد مـن الـمـتـعـة ، أوفي وقت لا تكون الأرض فيه صالحة لا للبذر ولا للحرث . فـأقـبـل يـا أخـي الـمـسلم وأدبر واستمتع كما شئت فى حلالك واتق الحيضة والدبر أصلحك الله . .

وهـذا يـنـقـلنا لحديث الوطء فى الدبر ، وان كنا من الرأى الذى يستنكره . . إلا أننا نحب أن نعرض وجهات النظر المختلفة :

وأولهـا أن اتـيان المرأة في دبرها ، لم تشرع له عقوبة ، ولا عرف عن رسول الله أنـه عاقب أحداً عليه ، واختلف الفقهاء حوله ، فنهم من أباحه ، إذ نسب الى ابن عـمـر تـفـسـيـره لآيـة : نـسـاؤكم حرث لكم « بقوله أتدرى يانافع فيم نزلت هذه الآيـة ، قـال لا . . قـال فـي رجل من الأنصار أصابَ امرأته في دبرها ، فوجد من ذلك وجدا شديدا فأنزل الله سبحانه : نساؤكم حرث لكم » .

وقد يتساءل البعض اذا كان ماذهب اليه المفسرون الآخرون ، من أن « أنى شـئـتم » تـعـنـي كـيـف شئتم . . فكيف استنتجوا منها أنها تعني « أي وضع ماعدا

الدبر» .. والتفاسير التي وردت حول نزول الآية تطرح أسئلة كثيرة .. فهي تدور حول افتراض أن اليهود يحرمون وطء المرأة من الخلف ، أى وجها لظهر ، وفى حديث عمر : « يارسول الله .. هلكت .. قال وما أهلكك .. قال حولت رحلي البارحة » فلم يرد عليه النبي ، فأوحى الله بالآية : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم .»

أولا : اليهود لايحرمون وطء المرأة من الخلف ، وان كان آباء الكنيسة فى زمن متأخر ، اعتبروا وضع الاستلقاء على الظهر ، وافتراش الرجل لها ، هو الوضع الشرعي ، إلا أن الحقيقة المؤكدة ، هي تحريم اليهود لوطء المرأة في الدبر وكذلك المسيحية ، والفكرة الأساسية هي كراهية اهدار المنى . وكراهية البحث عن اللذة غير مقترنة بالهدف الالهى ، وهو التناسل فى مفهوم الآباء الأوائل ، ثم تقديس « الوضع الطبيعي » من احترام الطبيعة عند الفلاسفة المسيحيين .. وعلى سبيل المثال فان تعبير Sodomy فى ولاية فرجينيا الأمريكية يشمل بالتحريم ليس فقط اللواط ، بل يشمل أيضا الجنس الجاف أوالوطء فى الدبر بصرف النظر عن جنس الفاعل والمفعول معه إلا أن الاستشهاد باليهود في تفسير الآية والحديث ، يعزز الرأى القائل بأن الحديث كان يدور حول الاتيان في الدبر ولانرجح القول بأن « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه قصد بقوله « حولت رحلى » أنه غير وضع الجماع ولكن فى نفس الموضع .. فالتعبير « حولت رحلى » يوحى بتغيير الموضع ، وليس فقط الوضع .. والعرب كانوا يستخدمون شتى الاوضاع ، حتى أن مسيلمة الكذاب فى الشعر المنسوب اليه يغرى « سجاحا » المتنبئة بقوله : فإن شئت سلقناك وان شئت على أربع ..

وعلى أربع هو الاتيان من الخلف ..

ولكن يبدو أن المفسرين استفظعوا نسبة ذلك الى عمر — حتى قبل التحريم — رغم الرواية التى تقول أنه جاء يصرخ : « هلكت يارسول الله .. »

وسكوت رسول الله لأنه لم يجد له من عنده مخرجا .. أوما يقطع بعدم هلاكه فيبشره به .. بل انتظر حتى يفصل الله سبحانه وتعالى فى الأمر!

أيعقل أن يكون كل هذا التحرج من أجل وضع خاص تمت به المجامعة الشرعية فى المحل المعتاد بين زوج وزوجته ؟! .

ويمكن أيضا القول بأن أحاديث الوطء في الدبر طعن في معظمها فحديث أبي هريرة : « ملعون من أتى امرأة فى دبرها » ورد فى اسناده ابن مخلد وهو « لا يعرف حاله » وحديث أبي هريرة : « من أتى حائضا أوامرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » في اسناده أبوتميمه وعنه قال البخارى « لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة » وقال البزاز : « هذا حديث منكر » وفى اسناده حكيم بن الاثرم ، وهو « لا يحتج به » وحديث خزيمة بن ثابت ان النبى « نهى أن يأتى الرجل امرأته فى دبرها » فى اسناده عمر بن أصيخة وهو مجهول .

ولكن ورد فى حديث عمرو بن شعيب قال النبى عن وطء المرأة فى دبرها هو « اللوطية الصغرى » ولاحظ أن اللوطية الكبرى ذاتها لم يشرع لها لا فى القرآن ولا السنة حد كذلك حديث : « أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر » ذكره أحمد والترمذى ..

وقال صاحب « الفقه على المذاهب الأربعة » : اتفقت كلمة علماء المسلمين على من أتي ، امرأته أوأمته في دبرها وترك القبل فلا يقام عليه حد ، حيث لم يرد من الشارع الحكيم حد في هذا الحالات . وذهب الشيخ « سيد سابق » الى أن الشافعية يرون شبهة في وطء المرأة في الدبر ، الشبهة المبطلة للحد (هذا وليس في القرآن ولا السنة حد لهذا الوطء) قال الشيخ :

« الشافعية يقسمون الشبهة التى تبطل الحد إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ شبهة فى المحل ، أى محل الفعل ، مثل وطء الزوجة الحائض . أو الصائمة

أو اتيـان الـزوجـة فى دبـرهـا . فالشبهة هنا قائمة فى محل الفعل المحرم ، إذ أن المحل مملـوك للـزوج ومـن حـقـه أن يـبـاشر الـزوجـة ــ واذا لم يكن له أن يباشرها وهى حـائـض أو صـائـمـة ، أو أن يأتيها فى الدبر ــ إلا أن ملك الزوج للمحل وحقه عليه يـورث شبـهـة ، وقـيـام الشبهة يقتضى درء الحد ، سواء اعتقد الفاعل بحل الفعل أو بحـرمـتـه ، لأن أسـاس الـشبهة ليس الإعتقاد والظن ، وانما أساسها محل الفعل ــ وتـسـلـط الـفـاعل عليه شرعا » (وهذه الفتوى تنطبق أكثر على سائر « المحلات » الأخرى فى جسد المرأة ، والتى لم يرد فيها أى نص ــ ج) .

وفى رأيـنـا أن الـنـص الـذى يـسـتفاد منه التحريم ليس آية « نساؤكم حرث لـكـم .. » وانمـا « وآتـوهـن مـن حـيـث أمركـم الله » وإن تجنب القرآن التحديد الـصـريـح ، إلا أن المـعـنـى مفهوم .. غير أنه لا حد على من فعله لا فى القرآن ولا فى السنة ، بل حتى إن وجد هذا الحد من القياس (عند من سموه اللوطية الصغرى) فـهـو مدروء بشبهة الملكية للمحل (بين الزوجين طبعا) وهو على أية حال مما يجرى بين المـرء وزوجـه ومـا لم يـقـع فـيـه الـغـصب والاكراه ، فلا سبيل لوصوله إلى علم الـقـضـاء . وهـو فى اعـتـقـادنا فعل غير مستحب ، ليس انطلاقا من مفاهيم التوراة والـكـنيسة التى لا ترى للجنس سببا أو مبرراً إلا الاخصاب ، فنحن نذهب الى أن اللـذة الجـنـسـيـة هـدف فى حـد ذاتـهـا ومـبـاحـة شرعا فى الاسلام بلا أدنى شبهة ، ولا تحـرج .. ولـكـن هـذا الـفـعل يعطى المرأة حظا أقل من المتعة التى تستحقها ، والمـؤهـلـة لهـا بـالجـمـاع الـفـطـرى ، وقـد تكون له مضاعفات جانبية من الناحية العضوية أو النفسية ، والعامة فى مصر يرددون قولا بذيئا ولكنه يحتوى على قدر من التجربة الصادقة[٣٦]

أمـا عـن الحـيـض فـأقـول إنـه يـوجد شبه اتفاق عام بين الجنس البشرى على كـراهـيـة الجـمـاع فى فترة الحيض ، وربما تكون من حيل الطبيعة التى تريد تركيز

٣٦ــ وهو قولهم : عايز تغيظها .. الخ ولا حياء فى الدين أو العلم .

الجماع فى فترة الاخصاب ، والحيض ليس منها ، وربما يتكشف العلم عن ضرر غير واضح الآن ، والأخطار التى يحملها الدم تتكشف كل يوم عن أمراض عجيبة ، آخرها هذا الميكروب الذى يسلب الجسم مقاومته فيصبح سهل المنال ، لأية جرثومة ، تعبث فيه كما شاءت .. أفلا يجوز أن يكون ذلك وقاية للرجل مخافة أن يكون به خدش بسيط فيتلوث بهذا الدم المتدفق و ينتقل اليه ماقد يكون بدم المرأة من أمراض أو فيروسات كامنة ؟! أو حتى من أجل المرأة التى لا تكون فى أحسن حالاتها فترة الحيض ، ولا أظن أنه يطيب لها حالة الرجل الغارق فى الدم والملطخ به ..

ولا أظن أن القائلين بشهوة البعض للجماع فى فترة الحيض لما يزعمون من حرارة ولزوجة ، لا أظنهم يقولون ذلك عن صدق أو تجربة وانما عن مكابرة ومعاندة ، ولمجرد شهوة تحدى المحرمات التى تبدو لهم غير مفهومة الأسباب .

على أية حال ، لقد اكتفى القرآن بقوله : « و يسألونك عن المحيض ، قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله . إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

فهو لم يصفه بأكثر من أذى ولم يقل نجس ، أما الديانات الأخرى فقد أسرفت فى كراهية الحيض ، و بالتالى المرأة فى المحيض ، وتقول « تاناهيل » مؤرخة الجنس « إنه حتى القرن التاسع عشر كان الأطباء الأوربيون يعتقدون أن لمسة المرأة الحائض تُعفن لحم الخنزير ! »

أما وقد وسع الله عليك ــ ياأخى المسلم ، وأختى المسلمة ــ فى فترة الحيض ، بغير الجماع ، من أسباب اللذة ، فلماذا اللجاجة ، وهى فترة أيام ليس الا .. تستمتعان فيها بريادة آفاق جديدة فى الحلال ؟[37]

---

٣٧ ــ لاحظ أن الوطء فى الدبر ، والحيض ، قضايا اثيرت من جانب المسلمين بسؤالهم للنبى ، وذلك نتيجة احتكاكهم باليهود فى المدينة . ورب قائل : لولم يسألوا ماحرمت ! ولكن الايمان يفترض أن السؤال قد طرح بارادته تعالى .

ونـنـتـقـل الآن الى عـلاقة متفق على شذوذها واستنكارها ، وهى الجنسية مع المـثل ، أو الـشـذوذ الجـنـسـي .. أى ممـارسـة الجنس مع نفس النوع ، الذكر مع الـذكـر ، وهـو مـا يـعـرف عـنـدنـا بـاللـواط ، والأنثى مع الأنثى ، وتسميه العرب «المساحقة» وهو فعل جنسى مخالف للصيغة التى يتم بها تكاثر الأنواع .

وهـو عـنـد علماء النفس ، يوجد بمجرد الاشتهاء ، وليس بالضرورة اتيان فعل مـعين ، ولا حـتى وقوع الا تصال أو المصارحة ، انما مجرد الاشتهاء الجنسي لشخص من نفس النوع ، يعني وجود حالة شذوذ جنسي .

ولم يـصل العلماء ـــ حتى اليوم ـــ الى رأى نهائى فى أسباب هذه الظاهرة ، إلا أننا نحاول أن نحصر مجمل الآراء في هذه التفاسير :

● الـذيـن يـرونـهـا ظـاهـرة طبيعية موجودة في كل انسان تنتظر ظروفا خاصة لـتـعـلـن عـن نـفـسـها ، فإن لم يتح لها ذلك ظلت مكبوته فى اللاوعى أوقد تكبت بـظـروف مـانـعـة مـن القانون والتقاليد فى المجتمع . وقيم الفرد ومعتقداته . ولكنها مـوجـودة ، ومهما كتمت تعبر عن نفسها بصيغة ما ، وإن صعب على غير المتخصص اكتشاف صيغ هذا التعبير .

ودلـيـل هـؤلاء أنه ما من مجتمع أو حضارة أو ثقافة قد خلت من تلك الظاهرة مـع اخـتـلاف الـظـروف وتـبـايـن الأفكار ، سواء فى مجتمع يفرض الحجاب على المـرأة ، و يـعقد الا تصال الجنسي العادى أو فى مجتمع يبيح الاختلاط الشديد الى

حد الاباحية بين الرجل والرأة . ورغم ذلك يوجد الشذوذ الجنسي ، بل لقد لوحظ انه ـ أى الشذوذ ـ ينتشر مع الاباحية الجنسية بعكس ما كان متوقعا ، من الذين نادوا بالاختلاط كوسيلة لمحاربة الشذوذ . فإذا به يكشف عن انتشار أوسع للشواذ .

وقد أخذ بهذا الرأى ـ اعتبار الجنس الشاذ ظاهرة طبيعية فى الانسان ـ فرويد ، وتقرير كنسى الشهير فى الولايات المتحدة أى أن الناس يولدون ولديهم الاستعداد لاشتهاء الجنسين ، ولكن العوامل الاجتماعية تفرض عليهم تفضيل أحد الجنسين .

وهو نفس رأى الاغريق والرومان . فقد اعتبرها ارستوفان : « حاجة طبيعية » وقال « اكز ينوفون » أنها جزء من طبيعة الانسان ، وزعم بلوترك « إن عاشق الجمال ينشده حيثما وجده فى الأنثى والذكر » [٣٨]

وقد زعم تقرير « كنسى » المشهور ، ان ١٣٪ من الذكور البالغين و٧ بالمائة من البالغات هم من الشواذ أى يفضلون نفس الجنس وان اربعين بالمائة من الذكور البيض وعشرين بالمائة من البنات مروا ومررن بتجربة لواط أو سحاق ، بعد سن البلوغ . إلا أن الدارسين العاصرين ، وجماعات الدفاع عن حقوق قوم لوط ، يشككون في هذه الأرقام الآن . و يقولون إن التقرير نشر في الأربعينيات ، وكان المناخ العام ضد اعلان هذا الشذوذ ، لما يجره عليهم من متاعب و يستشهدون بما جرى من مطاردة اللوطيين في الخمسينيات فترة المكارثية . وقالوا ان البعض لايدرى إنه شاذ ، والبعض يرفض أن يعترف بشذوذه ، ولو بخداع نفسه والبعض يخشى ان يصرح حتى ولو كان على يقين من

٣٨ـ انظر : حوار حول الحب ترجمة هلمس هولد ، الناشر : جامعة كمبردج بالولايات المتحدة عام ١٩٦١ صفحة ٤١٥

شذوذه و يصر هؤلاء على رفع النسبة فى الولايات المتحدة الى حوالى ثلاثين بالمائة ، وهى نفس النسبة المقترحة لغرب أوروبا .

● وهناك من يرونها مرحلة في التطور الجنسي ، فكل انسان طبيعي ، مكون عندهم من شقين ، سالب وموجب ، أو أنثوى ومذكر ، ولكنه بالنمو والنضوج البيولوچى والنفسي ، يتغلب فيه أحد العنصرين ، و يتراجع أو يضمر العنصر الآخر. ولذا تمر مرحلة يشتهى فيها الصبى اللعب مع الصبيان ، و يكره البنات ، أو ينفر منهن ، ونفس الشيء ، بالنسبة للبنات الصغيرات . ثم يجتاز كل منهما هذه المرحلة ليأخذ اتجاهه الجنسي ، الصيغة الشائعة ، وهى الميل للجنس الآخر. ولكن بعض الحالات يحدث لها ما يسمى بالتثبيت ، أو التخلف الجنسى فتظل فى المرحلة التى أشرنا اليها ، ولا تطور. وهؤلاء هم من يسمون باللوطية والسحاقية أو الشواذ جنسيا أو قوم لوط أو gay فى المصطلح الغربى الحديث .

ولهذا التخلف أو التثبيت أسبابه العديدة عند أهل هذه النظرية فمنهم من يرجعه الى خلل فى الغدد ، ومنهم من يرجعه الى ظروف البيئة ، أو أحداث خاصة فى حياة الفتى أو الفتاة فى سن التكوين الجنسي .

فمن يرى أنه خلل فى الغدد ، وأمثلتها واضحة فيما نراه من تبدل ملحوظ فى الشخصية المصابة ، فهو يحمل اسم ذكر ولكن مظهره العام ومسلكه أنثى ، والعكس كذلك ، وهذه حالات مرضية تعالج بعمليات تعديل الجنس . ويجمع العلماء على أن هذا التفسير يتناول قطاعا شديد الخصوصية ، في ظاهرة أكثر شمولا وتنوعا .

و يرى العلماء أن نسبة كبيرة جدا تكاد تكون الأغلبية من اللوطيين والسحاقيات ، هم من ذوى الاشتهاء المزدوج Bisexual ، أى يمارسون الجنس العادى والشاذ معا ، ومعظم مشاهير اللواط ، كانوا متزوجين . وليس هناك ما يمنع السحاقية من الزواج والانجاب بالطبع ، إلا إن اشتد انحرافها ، الى حد كراهية الرجال .

وفى الأدب العربي حديث طويل عما يسمونه « نواسي المزاج » نسبة الى بيت شعر سخيف ، منحول الى أبي نواس « الحسن بن هانيء » والذى يقال فيه على لسانه أنه يبيت مابين جارية وغلام .. الخ

وبصرف النظر عن نوعية الممارسة ، فإن العلماء ، يعتبرون الممارس ، من اللوطيين واللوطيات اذا كانت نشوته أو نشوتها الحقيقية مع الطرف المماثل ، حتى ولو كانت تستمتع أو كان يستمتع أيضا مع الجنس الآخر .. ولا يأبهون بمن يدعي « أنه سيان » ولا بالحالات النادرة التى يكون فيها الأمر كذلك فعلا ..

● وهناك من يرى أنها مسلكية دخيلة على النفس البشرية ، يمكن أن تنقرض أو يمكن تفاديها اذا ما أحسنت التربية ، ومنعت مسبباتها ، وهؤلاء يرون أنها مسلك خلقي وأن المجتمع سيبرأ منها اذا ماعزل أو قمع كل شاذ يُعرف ،فلا تنتقل الى الجيل الجديد ، فهى تعلم ولا تولد فى الانسان كالتدخين مثلا .. وهذا رأى جمهرة الأخلاقيين ورجال الدين ، وأمير المؤمنين الذى قال « لولا أن الله ذكر اللواط فى القرآن ما ظننت أحداً يفعله » .

ونقول إن الباحثين لم يجمعوا على تعليل علمى وان اعترفوا جميعا بأنها ظاهرة وجدت فى كل المجتمعات بنسب متفاوتة من العلنية ، وانها ظاهرة آخذة فى الانتشار في الحضارة الغربية اليوم ، الى الحد الذى يجعل المشرعين وعلماء النفس والاجتماع يميلون الى اخراجها من دائرة الشذوذ والتجريم الى الاباحة ، لا القانونية فحسب بل وحتى من ناحية القبول الاجتماعى والأخلاقى . فنسبتها تتجاوز الأربعين بالمائة بين الذكور فى بريطانيا وأمريكا ، ومعظم الدول الغربية اسقطت عنها العقوبة بين البالغين مع تفاوت في تقدير سن البلوغ مابين الثامنة عشرة والحادية والعشرين .. ويلاحظ أن سن الجنس القانونية بين الذكر والأنثى يكون دائما أقل ، مما يؤكد أن المشرع حتى في هذه المجتمعات ، مازال ينظر الى اللواط أو المساحقة ، كفعل غير مرغوب فيه ، يتمنى شفاء المواطن منه

وذلك بتأخير سن السماح به . فهم فى بر يطانيا يسمحون للفتى بالزواج وأن يكون أبا من سن السادسة عشرة ، و يعطونه حق الانتخاب ، وخدمة العلم في الجيش الامبراطورى من سن الثامنة عشرة ، ولكن لايسمح له بالشذوذ إلا فى سن الحادية والعشر ين ، عندما يصبح حالة ميئوسة ، و يصبح المنع ــ فى نظرهم ــ سببا لمخالفات قانونية ومدخلا لجرائم أشد ضررا على المجتمع .

ومن وجهة نظرنا : فهى ظاهرة ترجع لكل هذه الأسباب مجتمعة ، **وهي تنتشر وتأخذ شكل الفاحشة العامة فى مرحلة انهيار الحضارات ، أوبمعنى أدق فى مرحلة ازدهار الحضارة وترفها ، واطمئنانها الخارجي ، عندما يصل منحنى الصعود الى نقطة القمة و يبدأ في الانحدار حتى وان استقر فترة ، أو بدا مستقراً عند القمة .** وهى أيضا تنتشر أوتبقى منتشرة فى المجتمعات التى انهارت حضارتها ، وأتيح لها لأسباب غير طبيعية ، وسائل الترف ، مع فقدان القوة الذاتية ، وفقدان الرغبة والقدرة على الخروج من مرحلة التخلف .

واذا كنا سنشرح نظر يتنا بالتفصيل ، إلا أنه تجدر الاشارة الى رفض « جون بوزول » لهذا التفسير الحضارى ، فهو يقول ان اللواط موجود فى كل العصور والمجتمعات ، وان الفارق هو فقط ، في اباحته ، أوتحريمه . و يرفض القول بأنه يظهر فى مرحلة الانهيار، فيقول : إنه خلال القرنين الأولين من عمر الامبراطور ية ، عندما كانت روما في قمة القوة والنفوذ ، انتشرت كتابات الاغر يق اللوطيين . ونحن لانقول خلاف ذلك . ان الظاهرة لا تشيع بعد الانهيار، ولا هى من نتائج الانهيار، بل هي من علامات الافول ، ومن اسباب الانهيار. وهي تبدأ في الظهور عندما يصل المنحنى ــ كما قلنا ــ الى أعلى نقطة . وقد يبقى المنحنى ثابتا في الظاهر، وتبقى الدولة أوالامبراطور ية ، أوالحضارة المعنية متر بعة على القمة ، لعدة قرون ، لسبب بسيط ، أنه لا توجد حضارة أخرى قادرة على ازاحتها ، أوجاهزة لقلبها . ولكن الحضارة السائدة ، تتوقف عن النمو

والصعود ، ومن ثم تبدأ رحلة الانحدار، بظهور عوامل الانهيار، وممارسات الترف ، و يعكف مترفوها على الفسق فيها ، حتى يأتي أمر الله في شكل قوة انسانية اكثر خشونة واكثر تقشفا . وظهورها عند وصول الحضارة الى ذروة تألقها يخدع الدارس . ويجعله يظن أنها علامة أوحتى سبب التقدم ، وهى حقا قرينة على التقدم ، ولكنها فى نفس الوقت مؤشر الانهيار.

ففي مرحلة الصعود الحضارى ، تنتشر القيم التي تحقق القوة ، فالعربي مثلا في الأمة الحبلى بالميلاد الحضارى ، كان يفخر بأنه والد عشرة وأخ لعشرة وعم عشرة ، وخال عشرة .. وكانت مقاييس الجمال هي التى تنطبق على الأنثى الولود ، القادرة على حسن تغذية وليدها : كبر الصدر وكبر العجيزة .. ذلك ان الصعود الحضارى ، يتطلب الكثرة العددية ، و يغلب مصلحة الأسرة على حساب الفرد والمجتمع على الأسرة .. ومن ثم يندفع الرجال الى الزواج للتكاثر ومباهاة الأمم . ولا ترى المرأة لها من مهمة أشرف ولا أسمى من انجاب وتربية محاربين و بناة ، عناصر مباهاة الأمم ، ولو كان هذا على حساب متعتها الفردية ، ذلك ان سعادتها القومية والحضارية تغطي ، وتعوض متاعبها الفردية ، بل ان متعتها الفردية تتحقق من خلال هذا التفوق الحضارى .. ولا توجد حضارة صاعدة ، مارست تحديد النسل أواحبت المرأة العجفاء العاقر، اواستغرقتها المتع واللذات الفردية ــ أو كما في موضوع بحثنا ــ أباحت اللواط ، أوتفشت فيها هذه الظاهرة .. ابــــدا ..

فإذا ما انتصرت الحضارة على تحديها ، وحققت أمنها القومي ، و بدأت في الاستمتاع بنتائج بنائها الحضارى ، تغيرت المقاييس ونما الشعور الفردى على حساب المسئولية الجماعية ، و يتضخم احساس الفرد بذاته ، وحرصه على زيادة تمتع هذه الذات .. وتتراجع الرغبة الاستشهادية ، أوالاستعداد للتضحية ، على مستوى الجيل الواحد ، وعلى مستوى الأجيال ، فالجيل الحاضر لايعنيه ولا يريد التضحية من اجل الجيل القادم .

يسود شعار: أنا ومن بعدى الطوفان ، أومايتردد في الغرب الآن « هذه حياتي » وهى « حياة واحدة » فلماذا أضحى بها من أجل جيل آخر..

لايحبون الادخار ، ولاالتقتير على النفس لاعطاء مستوى أعلى من التعليم أوالحياة لأطفالهم إلا في أضيق الحدود ، أوالى الحد الذى لا يسبب لهم متاعب اكبر من المتع التى يتطلعون اليها .. ومن خلال اقناعهم بأن الانفاق على الاولاد « استثمار» جيد لأموالهم .. بل يتحولون الى كراهية الانجاب ، فيلجأون الى تحديد الاسرة ، وتصبح الاسرة النموذجية التى بها « ولد و بنت » لكي لا ينخفض مستوى معيشتهم ، ولكى لاتتبدد حياتهم في تربية الأولاد ، وتكف الأمهات عن ارضاع اولادهن ، لأن الرضاعة تفسد الثوب وجمال الصدر. وتنقلب المقاييس بمايخدم هذه الاهداف ، فتصبح المرأة الولود مذمومة ، والعائلة الكثيرة الأفراد غير حكيمة ، بل حتى مقاييس الجمال تتغير فيبدأ الاعجاب بالمرأة النحيفة التى لاتستطيع الحمل إلا بصعوبة ، ولا صدر لها لا رضاع ابنها أو« الغلامية القد » .. ثم تأتى الخطوة الطبيعية نحو عشق « الغلام » الذى لاينجب ولا يحمل مسئولية عائلية ولاقومية ولا حضارية .. الفردية في قمتها .. ومن هنا فنحن نراها ظاهرة انقراض حضارى .

ونحن مرة أخرى نخالف « جون بوزول » الذى رفض القول بأن اباحة الشذوذ تؤدى الى انقراض السكان . لأن هذا الرأى ــ يقول ــ يعني التسليم بأنه لو أبيح الشذوذ لانصرف اليه الجميع وتركوا الجنس الطبيعي ! ..

ونقول إن الاتهام والدفاع كليهما فيه مبالغة شديدة ، فصحيح ستبقى النسبة الكبرى تفضل الجنس الطبيعي ، فحتى فى سادوم وعامورا احتاج الأمر لغضبة إلهية لكى ينقرض السكان . وصحيح أن نسبة كبيرة من الذين يمارسون الشذوذ ، اذا استحال عليهم ذلك سيتجهون الى الجنس المعتاد ، ومن ثم يتناسلون ولو على حساب لذتهم الحقيقية .. إلا أن انتشار هذه الظاهرة تكمن فيه رغبة

انتحارية ، رغبة في الانقراض ، كراهية الاستمرار البيولوچى ، ومن ثم يتم تصريف الجنس بلاحرث ولازراعة ، وحتى الزارعين يقل انتاجهم ، وفي المجتمعات التى ينتشر فيها اللواط كظاهرة حضارية ، تنخفض نسبة تزايد السكان ليس بسبب انصرافهم للشذوذ ، ولكن كمناخ عام . وقد اشارت بعض الدراسات الى انتشار ظاهرة الشذوذ الجنسي في مستعمرات القردة اذا ماازدحمت بسكانها وضاق المكان بالقردة ، أوشح الطعام أوحتى ساد القلق بين الذكور . .

والحضارات عندما تصل الى القمة وتبدأ في الانحدار يتوفر لها الأمن الوطنى ، اوعلى المستوى الجماعي ، ولكن ينتشر فيها القلق الفردى ، انظر مثلا علو نسبة الانتحار فى بلاد آمنة من الناحية الوطنية أمناً شبه مطلق مثل السويد والولايات المتحدة ، وانعدام هذه الظاهرة تقريبا فى اللاجئين الفلسطينيين أوالكمبوديين .

باختصار ان حضارة صاعدة يصبح شعارها : الفرد في سبيل المجموع « وزرعوا لنأكل فنزرع ليأكلوا » ومن « كانت بيده فسيلة وقامت عليه الساعة فليزرعها » اما الحضارة الآفله فشعارها « غد بظهر الغيب واليوم لى » « لا تشغل البال بماضى الزمان ، ولا بآتي العيش قبل الأوان . . واغنم من الحاضر لذاته . . »

وفي الحضارات المنهارة فعلا : « بيت أبوك خرب خذ لك قلب » .

فإذا انتقلنا الى التطبيق ، نقول انه لا توجد أية اشارة لامن قريب ولامن بعيد في التاريخ الفرعونى القديم للواط ولاأزعم أنني قد درست اسباب ذلك ، أوأن لدينا مايكفي من نصوص لاصدار حكم قاطع في هذا الشأن . ويمكن القول أن التاريخ الفرعوني ، كان تاريخا شديد « الرسمية » وان الكتابة لم تكن ظاهرة عامة أوشائعة ، ومن ثم فإن معظم الآثار المكتوبة التي وصلت الينا تدور أساسا حول تاريخ الفراعنة ملوك البلاد والآثار ، « والأمناء على تاريخها » . وهؤلاء بالطبع لايثبتون في تاريخهم إلا مايعتبرونه مشرفا ، وهذا في حد ذاته ــ ان كان مقبولا كتفسير ــ يعني استنكار الظاهرة ، ولكن يلاحظ أيضا أنه لا توجد حتى

قصص غرام في تاريخ الفراعنة المكتوب ، مثل الاغريق ، بل وحتى التوراة .. وكل الفراعنة نراهم في وضع رب الأسرة المثالي ، كالمرشح الأمريكى ــ بجانب زوجته ويحيط بها الأطفال . وقد يقال : وماذا نتوقع من الصورة الرسمية التي ينشرها البلاط الملكي ؟ ولكن حتى الأساطير الفرعونية عن الآلهة تلتزم بالعفة ، فلا شذوذ بين الآلهة ولا مشاعية جنسية كتلك التي نراها فى ديانات اليونان والرومان . فقصة أوزريس التي تعتبر محور الدين الفرعوني في مصر القديمة ، هي قصة وفاء زوجة لزوج محب ، تعتزبها وتحرص على تدريسها ، أية مؤسسة أخلاقية . كما أضيف ، أن جميع تماثيل وصور الآلهة والفراعنه والرجال والنساء العاديين محتشمة مغطاة بالثياب ، ولوعلى الأقل حول العورة . بعكس تماثيل ورسومات الاغريق التي تحرص كلها على ابراز عورة الذكور بالذات ، مع أن المناخ كان يفترض العرى فى مصر الافريقية ، والكساء في اوروبا الأكثر برودة !! كما لا توجد فى ملايين الاواني والمزهريات الفرعونية التى عثر عليها مثل تلك المزهريات التى سجلت الفعل الجنسي في شتى الاوضاع اوالتخيلات ، عند الرومان واليونان والهنود وغيرهم . فهناك اذن موقف مختلف جذريا من المسألة الجنسية ..

وقد يكون السبب أن المجتمع المصرى ككل لم يمر بمرحلة التفسخ الحضارى المترف فعندما وصل الى قمته تعرض للغزو الخارجي والاحتلال والدخول تحت سيطرة حضارات أخرى . وهو تفسير ضعيف لانصر عليه ، ثم ان قلة الوثائق المتاحة تجعل طرح تفسير لهذا الرأى ، مجرد تخمين ، وقراءة فى المجهول . لولا أن لدينا ــ لحسن الحظ ــ النص القاطع الذى يبرىء ساحة الفراعنة ، وهو قوله تعالى لقوم لوط : « ماسبقكم الها أحد من العالمين » . والفراعنة سبقوا قوم لوط فى الوجود وهذه براءة من الله .

أما الاغريق فقد مارسوه ، أوعلى وجه الدقة ، مارسته الطبقة الحاكمة ، وهذه هى التى وصلنا تاريخها ، فلم تكن هناك وسائل لنقل الكثير عن سلوك العامة

ونحن على يقين من انتشارها بين الخاصة بشكل علني[٣٩] ومقبول . حتى أن الدراسات الحديثة ــ وربما ببعض المبالغة ــ لاتكاد تستثني أحدا من المشاهير أوالفلاسفة أوالآلهة في حضارة الاغريق ، من ممارسة الشذوذ الجنسي . وكثير من الألفاظ العلمية المستخدمة حاليا لوصف أنواع الشذوذ الجنسي مقتبسة من القاموس الاغريقي . وقال المؤرخون ان اسبرطة اشتهرت بالسحاق ، وأثينا باللواط . وكانت هناك بلدة اسمها « لسبوس » ، منها اشتقت الكلمة الدارجة الآن في عصرنا هذا « Lesban » لوصف المرأة السحاقية[٤٠] وكلمة Catamiti وتعني لوطيا سلبيا مشتقة من اسم شاب إغريقي اغتصبه « زيوس » كبير الآلهة .

تشرفنا !

وكان اللواط من خصائص الطبقة الحاكمة ، والآلهة ، أومن علامات النبل وامتيازات التفوق ، وليست بمفهوم الشذوذ المرضي .. فعظم النبلاء كانوا يجمعون بين زوجة وغلام معشوق . وان وجدت حالات غلب فيها الشذوذ مثل أفلاطون

٣٩ــ Christianity, social tolerance, and Homosexuality. By: John Boswell.

وقد بذل مؤلف هذا الكتاب ــ المذكور اعلاه ــ جهدا غير مبرر لا ثبات ان الطبقة الراقية كانت تمارس الشذوذ مع الطبقات الفقيرة أوالعامة . و يستشهد « لقد نام الأباطرة مع ممثلين ، والملوك مع الجنود ، والسناتور مع العبد » . وهذا صحيح ولكنه لاينقض النظرية التي أخذنا بها والمستمدة من قوله تعالى « أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » فالطبقة الحاكمة أوالمترفة هي التي تشرع القيم وتسن الاخلاق للمجتمع ، فهي التي تبدأ المجاهرة . ولكن هذا لايعني أنها تمارس ذلك داخل اطارها وحدها فلوفعلت لما كانت المجاهرة المدمرة ، وكانت الفاحشة محدودة ، ولكن من عوامل الانهيار التي يتم بها القانون الالهي ، أن تفقد تلك الفئة احترامها ومهابتها لدى العامة وهذا لا يكون إلا بوصول العامة الى مخادعها ، والاطلاع على فضائحها . والعامة بدافع الرغبة في المال والسلطة يستجيب بعض أفرادها لاغراء مضاجعة الطبقة الحاكمة . ولكن اللواط لا يصبح ظاهرة عامة بين العامة إلافي حالة سادوم وعامورة .. حتى في أوروبا وأمريكا اليوم فإنها اكثر شيوعا بين المثقفين ، والبروليتاري الذي يمارسها يفعل ذلك كمظهر للتحضر وللاندماج في الطبقة المثقفة ، التي لا تستطيع الاكتفاء الذاتي ، ولاتصبر عليه ، بل تحتاج دائما الى دم جديد من الشعب

٤٠ــ اللواط عند العرب هومايكون بين ذكرين من جنس أما المساحقة فلم ترد في القرآن ولا في قصة لوط لأن الآية صريحة في وصف جريمتهم إنكم لتأتون « الذكور » شهوة .. ولكن اللغة العربية تعني بالمساحقة مايكون بين المرأتين من فعل جنسي .

الذى لم يتزوج حتى مات في سن الثمانين . ووضع نظرية « الحب الأفلاطونى » ٤١ في حب الغلمان والغريب أنهم كانوا يعلموننا أن الحب العذرى بدأ عند أفلاطون ، وهو كما ترى حب الغلمان ، أما الحب العذرى الحقيقى فهو حب قيس وليلى وجميل و بثينة .. حب صحراء نجد .. حب رجل لامرأة ، ولكنه لا يصل الى الجنس لأسباب خاصة بها .

وأفلاطون على أية حال (٤٢٧ ق . م — ٣٤٧ ق . م) تعرف بسقراط وهو صغير .. وسقراط مشهور باللواط ، متهم بافساد الشباب . وأعدم عام ٣٩٩ ق . م .

وقد دافع أرسطو عن اللوطيين ووصفهم بأنهم يكونون افضل الرجال عندما يكبرون !

وقد عبد الاغريق « هرقل » بسبب شجاعته وقوته وفحولته ، فقد فض بكارة خمسين عذراء في ليلة واحدة ، ومع ذلك كانت له علاقة جنسية مع ابن أخيه Tolaus ، كما سقط فى حب هيلاس الجميل ذى الشعر الجعد المرسل على جبينه [٤١] وكان له عشرون عشيقا !

وقد وضع ستارتون دليلا لمراحل الاثارة في الغلام « إن زهرة غلام فى الثانية عشرة مرغوبة ، ولكنه أحلى فى الثالثه عشرة واشهى فى الرابعة عشرة ، ويزداد سحره أوجاذبيته في الخامسة عشرة ، أما السادسة عشرة فهى السن المقدس ! »

وفى تاريخ اليونان إن الديموقراطية فى أثينا ، أقامها لوطيان عاشقان ! ..

وهناك روايات عديدة عن شذوذ سقراط ، وقد أعدم بهذه التهمة ولكن مغامراته مع تلاميذه ، بقيت لنا ، وعشق هؤلاء التلاميذ له ، واضطجاعه على

٤١— Sex in history

فراش واحد مع أحد التلاميذ ، ومفاجأة بقية الطلبة له ، وغيرة الذى كان يعشقه بينهم ، الى حد الصياح في وجه أستاذ الفلاسفة « إنك تقلب الدنيا رأسا على عقب لتجلس بجانب الفتى الجميل » ورد سقراط الهادىء أوالبارد دائما — كما عرفنا من محاوراته مع زوجته ، وإن كنا نتعرف الآن على سبب جديد وأكثر جدية لخلافاتهما الزوجية !

رد سقراط : « ان حبى لهذا الفتى يجلب لى المشاكل فهولايسمح لى بأن ألقي نظرة أولمحة على غلام جميل فضلا عن أن أكلم أحدا غيره .. إنه يغار على الفور. وأخشى أن يغتصبني هذا الفتى فى يوم من الأيام » !

ولم تكن مخاوفه من باب التمنيات — كما يقولون — بل لقد حاول فعلا تلميذه « Alcibiades » اغتصاب سقراط فى الفراش .

وان كانت معظم الروايات لا تشير صراحة الى ممارسة فعلية ، إلا أن عشق الغلمان كان شائعا ، بل لعله كان من مميزات الطبقة المثقفة ! [٤٢]

و يبدو أنها كانت قد تفشت على نحو، أثار المثقفين ذاتهم فنجد أرسطو يسخر من انتشارها في الطبقة الحاكمة ، وتقبلهم لها كرمز من رموز النبل ، فيقول أرسطو على لسان أحد النبلاء يعاتب صديقا : « أيصح ياملعون أن يأتيك ابني من الملعب ، خارجا لتوه من الحمام ، نظيفا منتعشا نشطا ، فلاتغازله ، ولا تقبله ،

---

٤٢ — وهذا تفسيرنا للواقعة التي وردت في تاريخ المتنبي ، عندما بعث أحد معاونيه يستأجر مومسا مذكرا مشهورا فى عصر المتنبي ، واحضره سكرتير المتنبي فعلا ، ولكن الشاعر الكبير— وفقا للرواية — ترك الغلام في الفراش ينتظره ، وظل هوطوال الليل يكتب ، ولم يرفع نظره اليه (كما روى الغلام للسكرتير الذى روى القصة للعالم — انظر كتاب الأستاذ محمود شاكر عن المتنبى) . ولايمكن أن نجد تفسيراً لذلك إلا رغبة المتنبي فى أن يشاع عنه أنه قضى ليلة مع هذا الفاعل المشهور. وقد حدث وشاعت القصة ، وأثبتت في التاريخ . فإذا عرفنا انه كان عصرا شاع فيه عشق المذكر فى الأدب ، ولانكاد نجد بيتا واحداً للمتنبي يوحي بذلك . كان لنا الحق فى استنتاج أنه أراد تأكيد التذوق ، والاعتذار عن خلو شعره من هذا الباب ، لينسجم مع قيم عصره . ونستغفر الله من سوء الظن وخطأ الفهم . انه التواب الرحيم ..

ولا تحتضنه ولا تلعب في خصيتيه .. وتدعي مع هذا ، أنك أحسن صديق للعائلة ؟ ! » وإلا حنامش قد المقام !

والسخرية واضحة ، والصورة كاريكاتورية ، ولكنها تعكس على الأقل تقبل هذه الطبقة لذلك السلوك . وإن لم تصر عليه علنا كما وضعه أرسطو. الذى زعم أن نسبة الشواذ في عصره تعادل نسبة الطبيعيين .

وهناك مزهريات وأواني شراب ، وصلت الينا ، عليها رسوم اللواط ، سواء بالايلاج أوالملامسة ، ومابين ذلك وذاك .. ومعظمها بين رجل وغلام مراهق .

وعند سوفوكليس أن « أوديب » ملعون لأن أباه أحب غلاما . وفي تاريخ الاغريق قتل أكثر من سياسي « على يد غلمان رفضوا الاستجابة ، أوبدافع الغيرة لهجرانهم الى غلمان اكثر غلمنة » . « وكان الشاعر Agathon يستقبل ضيوفه وهو في زى النساء و بالمكياج » وكما تقول مؤلفة « الجنس في التاريخ » فإن اللواط وجد في سائر المجتمعات حتى التى توفرفيها المومسات أوالجوارى ، وملك اليمين . وأن معظم المجتمعات حرمته أوتجاهلته إلا اليونان ، وحضارة المايا فى أمريكا الجنوبية ، فقد حاولتا تنظيمه . وكان البغاء المذكر موجودا في اليونان ويمكن استئجار الغلمان ، بالساعة أوالليلة . و يصل الأمر فى بعض الأحيان للقضاء . وقد قضى المشرع « سولو» باعدام من يضبط فى مدرسة أطفال تحت سن البلوغ . كما حرم ممارسة اللواط بين عبد وغلام ولدحرا[٤٣] . أوارغام الفتيان على البغاء . وزعم أرسطوفي كتاب الجمهورية : ان أللواط نظم في جزيرة كريت .

---

٤٣ ــ ولكن العكس كان مسموحا به بالطبع ، فقد قبض على رجل في غرفة متزوجة ، فنجا من العقوبة باعلانه انه انما تسلل من أجل غلام عبد . و يرى « جون بوزول » ان سولون حرم اللواط على العبيد باعتباره ترفا يختص به السادة الاحرار. وفى الادب العربى فى العصر العباسى ، واواخر الاندلسي نجد تعبيرغلام « مؤاجر» وهو الذى يستأجر لفعل الفاحشة نظير أجر. وهو المومس المحترف بلغة العصر الحالى .

وفى روما « كان فى كل بيت عبد غلام لاستعمال المراهقين من أهل البيت قبل زواجهم (انظر المسيحية واللواط ص٧٨)

بواسطة الدولة كوسيلة لتحديد النسل . كذلك عرفت السحاقيات ، وشاع استخدام الآلات التى تشبه عضو الرجل : « قطعة من الخشب مغطاة بالجلد ويدهن بز يت الز يتون قبل الاستعمال » وزعم أفلاطون أن « تحريم اللواط يرجع الى الشر في قلوب المشرعين ، والطغيان من الحكام والخنوع من جانب المحكومين . وأن البرابرة والشعوب المستعبدة يعتبرونها مخجلة أوعارا مثل الفلسفة والر ياضة

وهكذا كان طغاتنا الى آن حطمهم حب ار يستوتيون وهارموديوس » — وهما كما أشرنا — مؤسسا الديموقراطية اليونانية ! كذلك كتب Philostratus الى غلام رافض ، « إن رفضك يثبت أنك لست من اثينا ولا اسبرطة ، ولا بد أن تكون من بلد بر برى غير متحضر » .

ولاحظ أنه مع اختلاف الموقف ، فإن وجهتى نظريها تتفقان مع تحليلنا ، وهو أنها ظاهرة ترف فى مجتمع « متحضر » .

وقد يقال إن شيوع اللواط بين الاغر يق سبق امبراطور ية الاسكندر، مما ينقض نظر يتنا عن الانهيار الحضارى . والعكس هو الصحيح ، لأن امبراطور ية الاسكندر، كانت المد العسكرى لحضارة وصلت ذروتها ، كانت تعبيرا عن تفوق الحضارة الاغر يقية ، الذى أنجز فعلا فى مرحلة التطهر. وقد زال التفوق العسكرى فور موت الاسكندر، وان استمرت الحضارة عدة قرون بعده ، وكانت هي الحضارة العالمية الى ظهور الرومان . ومن ثم فنحن نتحدث عن عملية نشوء الحضارة ، عملية الخروج من شرنقة التخلف والتبعية الحضار ية ، هذه هى المرحلة التى تحتاج للتطهر والروح الجماعية ، ولكن الحضارة بعد أن تجتاز هذه المرحلة ، وتبدأ فى العطاء بل وتبدو أكثر تحضرا وانتاجا وثقافة من مرحلة النشوء هذه المرحلة هي التى نعتبرها مرحلة الانهيار الحضارى . تماما كالكائن الحى ، فهو يصل الى ذروة نضجه وقوته فى الأر بعين مثلا ، ولكن هذه هي بالذات ، سن

الانحدار والاتجاه نحو الموت (انظر دراستنا عن المواجهة الحضارية) ونفس الظاهرة سنجدها في حضارة بابل عندما وصلت الى الذروة وأصبحت لديهم واحدة من عجائب الدنيا ، فأباحوا الشذوذ الجنسى بكافة أنواعه . واندثرت حضارتهم . كما توجد بعض الشواهد على انتشارها في الحضارة اليابانية والصينية فى عصور الانهيار فالقس البوذى في اليابان فى القرن العاشر كان يحيط به عدد من الغلمان يطلب منهم « الحب والاخلاص » ثم تطورت بين المحاربين الى قسم بالاخلاص مدى العمر وفي القرن السابع عشر تحولت الى لواط (الجنس في التاريخ)

وقطع امبراطور الصين آى تى ، أكمامه لكى لايجذبها من تحت رأس حبيبه تونغ هسين المتوسد على ذراع الامبراطور [٤٤]

وقبل أن ننتقل الى الرومان نشير بسرعة ، الى الشعب الذى اختار أن يكون خارج التاريخ أو المجرى العام للحضارة البشرية ، وإن كان قد بذل جهدا صاخبا في لفت الأنظار اليه ، وكان لديه من الكبر ما جعله يدعى أنه هو التاريخ ، والبشرية على هامشه . ونعنى اليهود .

حرم اليهود اللواط تحريماً شديداً فاق موقف أى حضارة أخرى [٤٥] فقد نصت التوراة على قتل الفاعل والمفعول به ودمهما عليهما [٤٦] ونلاحظ ان المجتمع اليهودى « المستقل » ظل محاربا ومتوترا متوجسا طوال تاريخه (بحكم اصراره على عدم الاندماج في محيطه) ومن ثم لم يتعرض لظواهر انحلال الحضارات ، بعد

---

٤٤ ــ المسيحية واللواط ص ٢٧

٤٥ ــ مع ان « جون بوزول » يزعم فى كتاب المسيحية والشذوذ الجنسي . ان « التسامح الدينى والعنصرى ، وقبول اللواط في المجتمع ، يسيران جنبا الى جنب ، وان المجتمعات التي تضطهد اليهود هي التي تحرم اللواطة وتشتد في قسوتها على اللوطيين والعكس بالعكس ، و يعتبر النازية أوضح مثال لذلك » . والملاحظة صحيحة ولكن التفسير يحتاج لوقفة طويلة جدا ..

٤٦ ــ وربما كان هذا هو اساس فتوى بعض الائمة من المسلمين .

اكتمال نموها . بعكس اليهود في المهجر إذيضمون أعلى نسبة من اللواط المعلن [٤٧] ، وتعتبر بعض الدراسات الحديثة ، أن التوراة هي مصدر كل المواقف والتشريعات المعادية للشذوذ الجنسي بسبب قصة سيدنا لوط مع سكان مدينة أومدينتى « سادوم وعامورا » وقد اشتق فعل اللواط في اللغة العربية من اسم سيدنا « لوط » رغم معارضته الشديدة لهذا الفعل وكونه هو وحده الذى لم يمارسه صلوات الله عليه أما في اللغات الاورو بية فإن الفعل Sodom\ أى الا تيان في الدبر مشتق من اسم مدينة لوط . وسنعود لحديث سيدنا لوط في الحديث عن المسلمين .. وننتقل الآن الى الرومان .

بعد الاغريق .. جاء الرومان ، ولا توجد شواهد ولا حتى تلميحات عن وجود هذه الظاهرة في الأدبيات الرومانية ، خلال سنوات تحول « روما » من قرية مجهولة الى عاصمة امبراطور ية عالمية .. سنوات الصراع من أجل البقاء ، ومن اجل فرض الذات الرومانية على العالم . فما إن أصبحت « روما » سيدة العالم ، والممثلة لحضارة العصر ، وتجمعت فيها ثروات وثقافات وفنون ومهارات العالم ، حتى دب الترف والانحلال في الطبقة الحاكمة ، وظهر اللواط على أوسع نطاق .. وقد جاء فى « انهيار الامبراطور ية الرومانية » لادوارجبون (طبعة ١٧٨٩) أنه من بين الخمسة عشر امبراطوراً الاوائل الذين حكموا الامبراطور ية الرومانية منذ تحولها الى امبراطور ية . كان واحد منهم فقط هو السوى المزاج من الناحية الجنسية ، وهذا يعنى ان الامبراطور ية حكمت حوالى ٢٠٠ سنة بأباطرة شاذين جنسياً .

« وأحد الأباطرة أرسل وفودا من القصر الى جميع اقطار الامبراطور ية يلتمسون الرجال الذين لهم غرمول كالبغال . وفتح الحمامات العامة لكى يتجسس على

---

٤٧ — ولكن يجب دراسة ذلك فى اطار نظرة اليهود للجنس مع الاميين ، اذان الظروف القاسية التى تعرضوا لها في ظل المجتمعات الغربية ، جعلت « الجنس » أحدى وسائلهم لحفظ النوع اليهودى .

هـذا الـنـوع مـن الرجال للعمل فى « الخاصة » الامبراطور ية » ص٨٠ (المسيحية والتسامح)

« وتـعـلـم نـيـرون كما تـقـبـل اللـواط. مـن مـعلمه سنيكا الذى كان بدوره لوطيا » ص ١٣٠

و بقـدر ضـخامة الامبراطور ية ، وطول المدة التى قضتها متر بعة على قمة العالم بـلا مـزاحم ، بعد ما حطمت قوتها العسكر ية ، كل المراكز المنافسة ، أوحتى التى تحـمـل خـطر التحدى مستقبلا . . ومع تدفق ثروة لم يسمع بها العالم من قبل ، فقد كـانـت اضـخـم امـبـراطور ية عرفها التار يخ حتى وقتها ، وأكثرها دقة وتنظيما فى نهـب الـشـعوب واستثمارها . بقدر هذه العوامل كلها ، كان اتساع الترف وعمق انحـلالـه ، و بـشـاعـة الفاحشة والتبارى في التهتك . فالأمم كالأفراد ، أوقل هي مجـمـوعـة أفـراد ، اذا أمـنـت الحـاجـات الأسـاسية ، بحثت عن الكماليات ، فإذا تحـققت ، سعت الى الترف ، والتفنن في اختراع اللذات ، والكشف عن شهوات مـا كـانـت لـتـوجـد لـولا الـفراغ والسعة أو: « فما تشتهي إلا أن تشتهي » وسبحان الـقائل : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » . . كذلك فإن الطبقة الحاكمة ، بـل وقـطـاعـا كـبـيـراً مـن الطبقة الوسطى فقدوا القناعة بالدين أوالوثنية الشائعة وقتها . وانحراف الاباطرة ، جعل الشذوذ تقليعة المجتمع كله .

الـشـعـراء كـانـوا يـنـظـمـون الشعر فى جمال « غلام » الامبراطور لكسب وده وعـطاياه ! وبعد ماتزوج الامبراطور[٤٨] Elagabalus بشاب ر ياضي أصبح رجال الـبـلاط يحـرمـون الـدخول على أى رجل إلا إذا كان مصطحبا معه زوجه (وليس زوجـتـه !) مما اضـطـر بـعـضهم الى التظاهر بالزواج من الرجال لمماشاة التقاليد الامبراطور ية .

أمـا نـيـرون فـقـد تزوج مرتين ، وفى كل مرة كان العروس رجلا وفى احتفال عـام ، وقـد عـومـل الـعـر يـس الثاني واسمه « سبورس » معاملة « الامبراطورة »

رسميا . وكان يحضر الاحتفالات الرسمية ، و يعانقه الامبراطور في شبق و بلاحياء وظل مخلصا له الى الوفاة . وانطلقت نكتة تقول لو أن والدنيرون تزوج على طريقة نيرون لكان العالم أكثر سعادة .

أما « هارديان » الذى شاعت قصة حبه مع الفتي الاغريقي انطونيو، الذى فقده أثناء عبورهما نهر النيل ، وحزن عليه الامبراطور « الوفى » وخلد ذكراه بعشرات التماثيل في جميع انحاء الامبراطورية ، والاستادات والدورات الرياضية ، و بنى على اسمه مدينة كاملة على النيل بين ممفيس وطيبه ، حيث غرق . .

وكانت الحكومة تفرض الضرائب على اللواطيين المحترفين ، وتضمن للغلمان المستخدمين إجازه سنوية ، و يقول « جون بوزول » إن الاباطرة استمروا يحصلون هذه الضريبة حتى القرن السادس (الميلادى) بما في ذلك الأباطرة الوثنيين والمسيحيين واصبح اللواط ظاهرة اقتصادية ، ففى خطاب كاتو (القرن الثانى قبل الميلاد) اشتكى من التضخم ، إذ أصبح سعر المأبون أغلى من سعر الأرض الزراعية !

و« سيسرو ــ الحجة فى القانون الرومانى ــ رفع قضية يطالب فيها بالاعتراف بديون ابنه على شخص كان يعاشره معاشرة الأزواج » و« فى القرن الثاني الميلادى قدمت شكوى ضد أحد الموظفين الرومان بأنه يحابى ولدا عمره ١٧ سنة . وقد اعترف الموظف بالتفصيل بعلاقته الجنسية مع الغلام . ولم يثر ذلك أى اعتراض من والد الغلام » .

وعلى أية حال ، نكتفى بقول مؤلف أصرح كتاب عن الشذوذ الجنسي ، صدر حتى وقتنا هذا : « ان الميول الجنسية لقيادات المجتمع الروماني يستحيل نشرها حتى في القرن العشرين » والامبراطور الروماني الوحيد الذى حرم اللواط هو الامبراطور فيليب العربي الأصل (منتصف القرن الثالث) .

وكان أن سقطت روما ، أوشقها الأوروبي تحت ضربات البرابرة ، وبقى قسمها الشرقي في بيزنطة يحاول الاستمرار بالمسيحية . والمسيحية قد مرت بعدة أطوار، ومن ثم اختلفت مواقفها .. فالمسيحية لم تظهر كثورة ولا كفلسفة لحضارة وليدة ، ولم تكن تمثل أوتواجه أى تحدٍ حضارى ، بل في المرحلة الأولى اتخذت موقف رد الفعل ، ففي مواجهة الاغراق فى الجنس المنحرف والمنحل فى الامبراطورية المنهارة . ولد عند آباء الكنيسة الأوائل ، كراهية عميقة للجنس بكافة أشكاله ، حتى الزواج الطبيعي . ولهذا الموقف أسبابه الفكرية أيضا ، إلاأن العنصر الأساسي فيه كان رفض حالة الاباحية والتهتك الروماني وقد ساد هذا التعفف « الفكر » الكنسي الى يومنا هذا ، ولانقول السلوك بالطبع ، فالحياة دائما أقوى .. ولكن ليس بالعفة وحدها تقوم الحضارات ، وان كانت شرطا أساسيا لا تقوم بدونه ، والعفة غير الاخصاء طبعا .. بل لابد من تصور شامل للوجود والتحديات المطروحة وامتلاك حلول لها ، أوالمنهاج القادر على طرح الحلول ، وامتحانها ، ورفض مالايصلح منها .. ولم تكن المسيحية في قرونها السبعة الأولى صالحة ولامؤهلة للقيام بهذا الدور، لأنها كما شرحنا في مكان آخر . دخلت في الدولة الرومانية ، أوأدخلت الدولة الرومانية في الكنيسة ، المهم أن دولتها لم تقم على أنقاض الدولة الرومانية ، بل تزاوجت معها ، فكان من الطبيعي أن يحمل الوليد الكثير من خصائص وطباع وتصورات وأمراض الأب الروماني . ولم تشكل المسيحية ثورة ، بل تسوية ، صفقة مع الدولة الرومانية ، كما سنرى فى استمرارية الكثير من مظاهر الانهيار الحضارى في المرحلة الأولى من المسيحية . ولكن المهم هنا ، ان المسيحية الرومانية ، ورثت الحس التاريخي بالزوال ، وهو الحس الذى كان يسيطر على الامبراطورية الرومانية ، ويحكم تصرفات قياداتها . ولذلك بشرت الكنيسة بزوال العالم ، وكانت هذه الفلسفة الاكثر قبولا من جانب الرومانيين الذين تعفنوا في الفساد ، وفقدوا كل أمل فى أى انبعاث حضارى . ولم يكن أمامهم أى مخرج من خلال المنظور الروماني ، أوالدولة الرومانية ،

فقدمت لهم المسيحية الحل الوحيد : التبشير بأن هذه هي نهاية العالم ، قرب زوال المجتمع أوالجنس البشرى ، ولاحظ أن كل الحضارات اعتبرت زوالها هو نهاية العالم .

بشرت المسيحية بزوال العالم بارادة غير بشرية ، بقيام عالم جديد بلاخطايا ولا مشاكل ، خارج هذه الدنيا أوالأرض الخاضعة للحضارة الرومانية ، والتى لامكان فيها لحل غير روماني . .

فالمسيح الذى جاء في البداية ، في صورة ملك اليهود ، الذى سيقودهم في ثورتهم ضد الرومان ، ويحررهم من سيطرة الرومان ، ومن النموذج الروماني و يبني مملكتهم ، أومملكة جديدة ذات قيم أقدر على الحياة . فهو قائد أوزعيم يحقق طموحا دنيويا ، وتغييرا فوق هذه الأرض . ولكن لأسباب عديدة ، منها ـــ وإن يكن ليس أهمها ـــ رفضه من قبل اليهود ، فإن آباء الكنيسة فضلوا مهادنة الدولة الرومانية .

ورغم أن المسيحية من اليوم الأول ـــ في اعتقادنا ـــ ما كانت لتقر اللواط من الناحية المبدئية . ورغم أن جميع الدراسات تؤكد أن المسيحية تبنت الموقف التوراتي أواليهودى من تحريم اللواط . ولم يكن من المعقول بالنسبة لكنيسة تحرم الجنس بين الرجل والمرأة ، اذا كان لايهدف مباشرة لزيادة النسل بل يرى « بولس » مؤسسها أن الجنس كله لامبرر له ، انطلاقا من أن مملكة الله على وشك الظهور « فالوقت قد أزف يا اخوتي ، عندما يتساوى من له زوجة بالأعزب » ورأى آباء الكنيسة الأوائل : « ان اللذة حتى أثناء الجماع الشرعى ، بهدف التوالد ، هى خطيئة . من غير المعقول أن يقبل أصحاب هذه النظره فعل اللواط[48] الذى يقوم على اللذة المجردة من أى هدف اجتماعي أوعمراني . ومع ذلك فإن

---

٤٨ يصعب تعقب النصوص التى تحرم اللواط في الأسفار المسيحية المعتمدة ، إذ أن المسيح لم يتعرض لذلك على الاطلاق ولكن الدراسات المتخصصة تجمع على أن المصدر الوحيد الذى وضع أساس رفض اللواط =

الرغبة في مهادنة المجتمع الروماني ، ومن ثم التأثر به ، ولأن الأخلاق المجردة ، لاتخلق واقعا ، بل لابد أن تعبر هذه الاخلاقيات عن حركة حقيقية في المجتمع ، ولذلك لم تفلح أخلاقيات مسيحية عصر الانهيار في تغيير المجتمع الروماني ، بل بالعكس تأثرت الكنيسة بأخلاق هذا المجتمع ، فبقى اللواط في المجتمع الروماني المسيحي بشقيه الغربي والشرقى ربما حتى القرن العاشر.. فقد ظل اللواط بالأجر، يمارسه المحترفون في الامبراطورية الشرقية حتى القرن السادس الميلادى ، بل واستمر الاباطرة يحصلون الضرائب من هؤلاء المحترفين ، والتى كانت تشكل نسبة من ايرادات الدولة التي تعيش عليها الكنيسة[٤٩]

وكان اللواط متفشيا بين المسيحيين حتى القرن الرابع الميلادى . وتورد الدراسات الحديثة أكداسا من وقائع ودلائل وأشعار وأدبيات تثبت وجود عشق المذكر بين رجال الكنيسة في تلك الفترة .. سنضرب صفحا عن هذا كله فقد يكون من نوع الشعر الصوفي [٥٠] ، وقد تكون علاقة متوقعة بين ذكور يعيشون معا بعيدا عن المرأة ، وهم في فحولة شبابهم ، وتباين شديد لأعمارهم . وجمال الشماسين مشهور ومعروف في الأدب العربي وليس فقط الأوروبي .

كان البابا « جريجورى » يشرف على بيع الغلمان الانجليز « شديدى الجمال » فى سوق روما في القرن السادس الميلادى . مع معرفة الجميع بسبب

= في الفكر والتشريع المسيحى ، هو انجيل « برنابا » الذى اذان هذا الفعل . (وهو بالمناسبة انجيل ممنوع التداول فى الأوساط المسيحية اليوم ، و يتداول المسلمون نسخة منه يقولون إنها أصح الأناجيل وأقربها للحقيقة) أما أول مجمع كنسي بحث موضوع اللواط وأصدر فيه قرارات ، فكان مجمع لا تيران Lateran الثالث عام ١١٧٩ ميلادية ، عندما بدأت حركة البعث في أوروبا الغربية . وهو المؤتمر الذى حرم « المسلمين واليهود والربا واللواط »

٤٩ ـ المسيحية واللواط ص ١٣١

٥٠ ـ وان كان مترجم أشعار الصوفي الشهير « الحافظ » علق عليها بقوله : « من الصعب التفكير في الله ، اذا كان عاشقه الصوفي يصفه بأنه متموج الخصلات ، ياقوتي الشفاه ، ممشوق القوام كغصن البان » !

« رواجهم » . وقال البابا إن « جمالهم يعطيهم لمحة ملائكية ويجعل الجنة مأواهم » ! !

وفى القرن الثامن نصح « القديس بازل » ، رجال الكنيسة بتجنب النظر الى الغلمان المرد : « اذا رأيت الفتى الجميل ، فاجلس في مقعد بعيد عنه ، وعند النوم احرص على الا تلمس ثيابك ثيابه . بل ضع بينكما رجلا عجوزا . . وعندما يتكلم أوينشد أمامك لا ترفع عينيك اليه ، حتى لا تزرع الشهوة في قلبك ، ولا تدخل معه فى مكان يغلق بابه ، أويصعب على الناس رؤ ية مايحدث بداخله ، مهما كان الغرض من دخولكما » [٥١]

لم تستطع الكنيسة أن تخرج الامبراطور ية الرومانية من أزمتها ، ولا أن تطرح الصيغة البديلة على الصعيد العالمى ، ومن ثم كان عليها أن تنتظر حتى يأتى التحدى من الجز يرة العر بية ، من قوم لا توجد في شعرهم « الجاهلي » اشارة واحدة لهذا السلوك ، ثم مجتمع المتطهر ين الذى يقول فيه أمير المؤمنين « لولا أن الله ذكر اللواط فى القرآن ، ماظننت أن أحدا يفعله » .

جاء التحدى من أبعد المجتمعات تأثرا بالانهيار الروماني والفارسي ، في دورة من دورات المواجهة الأبدية بين الشرق والغرب . جاء الاسلام يطرد بيزنطة وكنيستها من شرق وجنوب وغرب البحر الأبيض . ولكن الكنيسة كانت أعجز من أن تستجيب للتحدى . . وربما لوسقطت بيزنطة ، كما كان متوقعا مع موجة الفتح العربي الأول ، لعجل ذلك بنهوض أورو با . ولكن بقاء الكنيسة عطل

٥١ ــ سنجد نصا مشابها في حكاية سفيان بن سعيد الثورى عام (١٦١ هجر ية ــ القرن التاسع الميلادى) الذى رفض أن يدخل الحمام مع صبى حسن الوجه صائحا : « اخرجوه عنى . . اخرجوه » وقال ان مع كل امرأة شيطانا ، ومع كل صبى جميل بضعة عشر شيطانا » كذلك نصيحة الامام أحمد للرجل الذى جاء بمجلسه ومعه صبي جميل هو ابن أخته فقال له « لاتجيء به الينا مرة أخرى ، ولا تمش معه فى طر يق لئلا يظن بك من لايعرفك ولا يعرفه السوء » الكبائر ص ٥٩ لمؤرخ الاسلام الامام الحافظ شمس الدين الذهبي .

الاستجابة للتحدى ، حتى أن شارلمان الذى يصف نفسه بأنه مؤسس « أوروبا المسيحية » عبرعن يأسه وانزعاجه من تفشي الانحرافات في الكنيسة . وقد أجمع المؤرخون على أنه وإن حرص على أن يجعل من نفسه امتدادا تاريخيا للأباطرة الرومان ، إلا أنه كان يخالفهم تماما من ناحية المزاج الجنسي . ولما سمع بتفشي اللواط بين الرهبان قال : « إن العفة بين الرهبان هي الأمل في خلاص كل المسيحيين . ونصح رجال الكنيسة بكبح النفس لحماية انفسهم من هذه الرذائل لأنه لايمكن أن يسمح بها في مملكته وخاصة بين الذين يجب أن يكونوا قدوة » .

وهذا يوضح أنه لايكفي وجود « الفكر » أو« الخلق » الحميد ، ولا حتى الرجل « العظيم » الواعي بأهمية الأخلاق ، بل لابد من اقتران ذلك بموقف حضارى .

نهضة أوروبا واللواط

فلما كانت الحروب الصليبية بدأ الانتعاش والاصلاح فى أوروبا الغربية أوالمسيحية ، وفي الكنيسة أيضا . ذلك أن الاستجابة للتحدى كانت قد بدأت ، واتخذت شكل الثورة على الكنيسة ، وظهور الكنائس المنشقة أوالحركات الاصلاحية . ولوأن عددا من أبطال الحروب الصليبية يتهمون باللواط في بعض الدراسات المتخصصة في تعقب المشاهير وإثبات ذلك السلوك عليهم ، فهذا النوع من الدراسات يؤكد ـــ الآن ـــ أن ريتشارد قلب الأسد كان على علاقة مامع فيليب ملك فرنسا !

إلا أن الكنائس الجديدة في غرب أوروبا وانتصار المسيحيين على المسلمين في أسبانيا ، وظهور حركة الجزويت ، كلها شكلت الاستجابة الناجحة للتحدى الاسلامي . هذه الاستجابة تلقت دفعة أخرى وحاسمة على يد الأتراك الذين أزاحوا بيزنطة من الطريق ، فتراجعت الكنيسة الشرقية الى أكثر أجزاء أوروبا تخلفا وتقشفا الى « الروسيا المقدسة » أوكنيسة « روما الثالثة » .. وانطلقت الاستجابة للتحدى في « الروسيا » ومازالت الى اليوم . ولاحظ أنه حتى اليوم لاتوجد أية اشارة في الفكر الروسي ولافيما سبق الثورة عن أدب اللواط .. بل إن مشاهير الفكر الأوروبي الذى هرعوا الى روسيا الشيوعية حالمين بمشاعية جنسية ، عادوا خائبين رافضين ، لأن النظام السوفيتى اتهمهم باللواط المحرم بشدة فى الدولة

« اللادينية » .. وقد قادت الكنيسة والقياصرة مسيرة الأمة الروسية خلال هدف واحد لم يتغير ، وهو القضاء على الاسلام في أوروبا ثم في آسيا الوسطى والغربية ، بينما كانت كنائس الغرب ودول أوروبا الغربية تشق طريقها الحضاري حول وفي قلب العالم الاسلامي في افريقيا وشرق آسيا وجنوبها . وخلال عملية بناء الحضارة الغربية ، تتضح لنا المسلكية الحضارية التى أشرنا اليها ، ومن زاوية « اللواط » نرى أنه ظل محرما حتى منتصف القرن العشرين ، وان كانت الحضارة الغربية قد وصلت ذروتها و بدأ انحدارها في القرن التاسع عشر ، ولوأن بعض الدراسات تنسب السحاق للملكة فيكتوريا ، ولكن ذلك لايعنينا في هذه الدراسة . لأن الذى يعنينا من سلوك الحاكمين ـــ كما قلنا ـــ هو المعلن . والملكة فيكتوريا لما عرض عليها قانون العقوبات أبدت دهشتها ونفيها وجود « مثل هذا الشيء » بين النساء ! .. فهذه هي الصورة التى أعطيت للشعب البريطانى ، لكي يريق المزيد من دمه من أجل ضم ممتلكات جديدة لتاج الملكة المسيحية العفيفة !

وقد قامت الرقابة في أوروبا الناهضة بحذف وتعديل كل النصوص التى وردت في التراث الاغريقي والروماني لاستبعاد « الانحلال » فعشيق سقراط تحول الى « سيدة اشتهرت بجمالها » . ونسب الى أفلاطون كذبا ، استنكاره وادانته للواط « متأثرا بقراءة الكتاب المقدس » ! ونقحت أقوال « أوفيد » في كتابه « فن الحب » فبدلا من قوله : « إن عشق الغلمان أقل جاذبية لى » عدلت الى « وعشق الغلمان لايثيرني على الاطلاق » وعلق الناشر المسيحي على « تزويره » : « ومن هذا يتبين لك أن « أوفيد » لم يكن لوطيا » . وحتى القرن التاسع عشر اعتذر الناشرون فى أوروبا « المتحررة » عن نشر نصوص اللواط فى الادب الاسلامي فى عصر الانهيار (ابتداء من العصر العباسى الثاني) . ففى أشعار « سعدى » الفارسي . قلب المترجم البريطاني كل قصص عشق الغلمان الى حب « طبيعي » باضافة تاء التأنيث . وحتى منتصف القرن العشرين فإن

قصائد غزل « حافظ » [٥٢] مازالت تحور لتلائم أخلاقيات الأوروبيين والأمريكيين (انظر طبعة كامبريدج ــ أمريكا ــ ١٩٤٧) كذلك حذفت أبيات الغزل بالمذكر من رباعيات الخيام عندما ترجمت . وفى عام ١٩٦٩ قال « شارلس بيلات » إن الحياء والحشمة تحولان دون ترجمة الجاحظ ترجمة أمينة ، لما في كتاباته من صراحة فيما يتعلق بالشذوذ الجنسي . كما اعتذر في الطبعة الأجنبية لتحقيقه لكتاب محاورة الجوارى والغلمان وان كان لم يجد ضرورة للحياء فى الطبعة العربية التى نشرت في بيروت (١٩٥٧) .

وكما أشرنا فإن القانون مازال يطارد حتى اليوم ــ في أوروبا وأمريكا ــ النشاط الفكرى للوطيين ، وكما يقول مؤرخ الشذوذ الجنسي في العالم المسيحي ، جون بوزيل ، لم يحدث أن تعرض الشواذ لاضطهاد طوال تاريخهم في الغرب ، لمثل ماتعرضوا له في مطلع القرن العشرين وكلنا يعرف كيف تحطم « اوسكار وايلد » فى بريطانيا الديموقراطية والليبرالية والتحرر لأنه كان يعشق شابا . وكما ذكرنا لم يجد الاتحاد السوفيتى تهمة يدمر بها سمعة « أندريه جيد » إلا اتهامه بأنه لوطى .. واللواط كان منتشرا ومقبولا في المجتمع المملوكي المنهار فى مصر أكثر منه فى جيش نابليون الذى كان يضم زهرة شباب فرنسا .

وقد أشرنا الى أن من قوانين الانهيار الحضارى ، العجز عن اكتشاف سر الانهيار ، وبالتالى العجز عن مواجهته ، ولكن المجتمع يحس بأنه سائر الى الزوال . ومن ثم تقع انتفاضات تحاول وقف عجلة التاريخ أومقاومة ارادة الفناء التي توجه المجتمع نحو مصيره . ومن هنا تتفجر نوبات « عفة » فتلغي القوانين

٥٢ــ شمس الدين محمد الحافظ . ولكن نشرت طبعة صريحة في باريس عام ١٩٢٧ ولا تنس أن باريس « سباقة » ! وربما يقال ان الغزل بالمذكر ليس كله لواطا في الشعر العربي لأن القافية والاعراب فرضت الى حد كبير على بعض الشعراء ، الغزل فى الحبيب وليس الحبيبة . وهي وجهة نظر ، ولكن لانميل اليها كل الميل ، لأن هذه الضرورة اللغوية ، لم تظهر فى الشعر الجاهلى ولا شعر عمر بن أبى ربيعة على سبيل المثال .

التي تبيح « الحر يات » الجنسية ، وتشن الحملات على « الشواذ » الذين يجلبون الدمار للمجتمع ، أويثيرون غضب الرب .. ويغفل الجميع عن أن هذه هي ظواهر الانحلال الحضاري ، وليست مسبباته .. اذا صح هذا التفسير لفهم الموجات المحافظة في الغرب ، فإن تفسيرا لايقل أهمية يحتاج لتأمل . وهوعنف العداء المسيحي للجنس ، و بالذات اللواط ، ليس من الناحية العقائدية بحكم سيطرة التفكير التوراتي على المسيحية ، بل أيضا تاريخيا ، لأن نهضة أورو با ، أونهضة الحضارة الغر بية المعاصرة اقترنت بحملة شعواء على « اللواط » واتهام جميع الخصوم الحضار يين أوالمذهبين بممارسته ، من المسلمين الى شعوب أمر يكا اللاتينية حتى فرسان الهيكل ! فالتكو ين المسيحي ــ الغر بي شديد العداء للواط ، يشعر بالهزيمة الحضار ية أمام انتشارها ، إلا أن هذا الانتشار الساحق « الديمقراطي » في الغرب هو دليل انهيار هذه الحضارة .. وهو لن يتوقف إلا إذا جوبهت بتحد حضاري ، وكان بها بقية من قوة تجعلها تستجيب لهذا التحدي ، كما استجابت للتحدي الاسلامي وانتصرت عليه بعد عشرة قرون من الغيبوبة والانهزام ..

وقد مرت على الحضارة الاسلامية نفس قوانين النشوء والارتقاء والتدهور أوالصيرورة والعدم ، القانون العام الذي تخضع له كل الكائنات المادية . والمجتمع الإسلامي ليس إلاظاهرة مادية ، وإن استرشد فترة بعقيدة غير مادية .

وأنا أعتبر نقطة التحول في الحضارة الاسلامية أوالذروة ، هي تلك القصة الرمز ية عندما تحدى هارون الرشيد ، السحابة العابرة أن تمطر خارج سلطة جباة ضرائبه ! وقد سجل المؤرخون بعد ذلك تمزق الوحدة السياسية للدولة الاسلامية ولكن المؤرخ الحضاري سيسجل الوصول للقمة ، وظهور نتائج النمو الحضاري ، في العلوم والمخترعات ، والثروة الهائلة ، والثقافة ، والفنون ، ثم الترف المادي والفكري والسلوكي ، بدأ عصر الحضارة الاسلامية ، بعد الحضارة الاغر يقية والرومانية ..

كانت بغداد قد بنيت عام ٧٦٣م فى نفس موقع كيش عاصمة الحضارة السومرية ، و بدأت التكنولوجيا المتراكمة عبر التاريخ ، وبجهود كل الحضارات السابقة ، تتفاعل في حضانة الفكر الاسلامي ، الذى يؤمن بحرية البحث ، ورفض التقيد المسبق ، والمتحرر من العنصرية ، أوالتعصب ضد حضارة أوثقافة جنس معين ، وغير الخاضع لاكليروس علمى ، بالاضافة الى الأمانة العلمية النادرة ، مما جعل كثيرا من المؤرخين الذين يحترمون أنفسهم يعتبرون المسلمين ، أول من أقام « علم التاريخ » وذلك في كتابة الحديث ، وتحرى المحدثين .
وهكذا فإن الكشوف العلمية التي كانت مجرد احتمالات أونظريات ، أوامتيازات شديدة الخصوصية أوفى اطار ثقافة شديدة العزلة ، وعدم القابلية للانتشار ، كل هذا تحول في البوتقة الاسلامية الى حقيقة علمية أومتداولة ، ومتاحة للجنس البشرى كله . فالمؤرخون الغربيون شديدو الحرص على نسبة الورق للصين ، مع التسليم والاعتراف من جانبهم بأن العرب هم الذين قدموا الورق للعالم . ونحن نضيف إن الورق فى الحضارة الصينية ، كان ظاهرة شديدة الخصوصية ، تماما كما لوأثبتنا أن الصين سبقت مصر أوالعرب الى اكتشاف الكتابة . فسيبقى الحرف العربي أوالفينيقى هو وحده الذى كان مهيئا لكي يلعب الدور العالمى . والنقلة الحاسمة في تاريخ البشرية . كما أن لغة الصين مهما أوتيت من بلاغة وعلم وثقافة ، فإنها تشكل بصيغتها المعقدة ، قيداً ذاتياً على انتشار معلوماتها . ولا أقول إن اللغة العربية وحدها ، من ناحية تقدمها وصلاحيتها للتعبير فى شتى أوجه المعرفة ، مما جعلها لغة العالم الأدبية والعلمية لأكثر من أربعة قرون ، واللغة المكتوبة لعدة شعوب لا تتكلم العربية .. ولا المعرفة الاسلامية المتقدمة ، ولاموقع الحضارة العربية ـــ الاسلامية جغرافيا وتاريخيا ، لاأقول إن هذه شكلت العامل الحاسم فى اختراع الورق أوجعله ظاهرة اسلامية بالدرجة الأولى ، بل في اعتقادى ، إن العنصر الحاسم هوالموقف الاسلامي من « الكتاب » .. ومن « القراءة » و« الكتابة » . فالحضارة الاسلامية تقوم على « الكتاب » ..

مـا مـن حـضـارة أخرى قبل الاسلام لعب فيها « الكتاب » الدور الذى مثله ولـعـبـه فـي الحضارة الاسلامية .. بل إن ترتيب الأمم في التكريم وحسن المعاملة يـنـبـعـث عـندنا من امتلاكهم لكتاب ، فالمسيحيون واليهود لهم حقوق خاصة في الدولة الاسلامية ، وامتيازات في التعامل لأنهم « أهل الكتاب » وقد شهد مؤرخ يهـودى ــ عـن حق ــ أن هذا كان أول تكريم يناله اليهود من الأميين ! .. بل ان الـدولـة الاسـلامـيـة عـندما عاملت مجوس ايران نفس معاملة أهل الكتاب ، بذل الفقهاء جهدا في تبر ير ذلك بأن الفرس كان لهم كتاب ولكنهم ضيعوه .. !

ولـكـن أهـم مـن ذلـك ، أنـه حتى في الحضارات أوالديانات التى امتلكت « كـتـابا » شبيها بالقرآن ، فإن وضع « الكتاب » في الحضارة الاسلامية يختلف جذر يا .. فـفـى اليهودية والمسيحية ، كان « الكتاب » أولاً لا يحمل هذا الاسم بـل « الـعـهـد » أوالعقد « الكونتراتو» بين الله والمؤمنين . فالكتاب شيء مقدس يحق للخاصة وحدهم تداوله وفهمه وقراءته ، وتصف مؤرخة غر بية التقدم الثقافي فـي أورو بـا في القرن الثالث عشر فتقول : «لم تكن هناك أسرة أرستقراطية في جنوب فرنسا ، إلا وفيها شخص واحد على الأقل يستطيع الفخر بأنه قد قرأ كتابا . وعـدة أفـراد يجـدون لذتهم في لعبة عقلية » (مثل الشطرنج) . ويمكن القول بكل ثـقـة أنـه في القرن الثامن الميلادى والى الحادى عشر لم تكن توجد أسرة في العالم الاسلامي . فيها شخص واحد فوق سن السابعة لم يقرأ كتابا واحدا على الأقل ؟ !

فـالمـسـلـم يـبدأ بقراءة القرآن ، ولكى يفهم القرآن يجب أن يدرس النحو فإن أراد الـتـفـسير لـزمـه الحـديث والشعر والبلاغة ، وإن أراد ضبط صلا ته وصيامه ، كـان عـلـيه أن يلم ببعض قواعد الفلك والحساب ، فإن أراد فهم حقه في ميراث أهلـه ، احـتـاج الى علم الجبر .. الخ .. ثم لا وجود لكاهن يمتلك كل الأجوبة .. ولاحدود على المعرفة ، وطلب العلم فر يضة على كل مسلم ومسلمة ، وطلب العلم مأمور به ولوكان العلم في الصين المجوسية ..

باختصار.. لايمكن تصور المجتمع الاسلامي بدون « كتاب » حتى في أحلك العصور ولقد رمى « المتحررون » والملاحدة علماءنا بالتخلف لأنهم يقرأون الكتب الصفراء . فنحن نقرأ ولولنزداد جهلا أوتخلفا ! ..

وقلما يأتي ذكر مدينة من مدن الحضارة الاسلامية ، التى بقيت أوسقطت إلا وتذكر مكتبتها العامة أومكتبة الأمير ومابها من مجلدات ، وصلت في قرطبة في القرن التاسع الميلادى الى أربعمائة ألف كتاب ، أومايكفى لاعطاء جميع رجال الدين في أوروبا كلها كل واحد كتابا خاصا ، و يبقى الكثير.. وما من ترجمة لعالم أوباحث أوفقيه أوشاعر إلا وتذكر مكتبته الخاصة ومابها من كتب لا تقل عن عشرة آلاف كتاب بأى حال ، أما كتب بغداد فقد صبغت النهر بحبرها عدة أيام أوأسابيع أوشهور — قل ماشئت — وعبر عليها جيش الغزاة ...

فالكتاب كان ضرورة اسلامية ، ولايمكن تصور الكتاب على أوراق البردى الفادحة التكاليف ، ولاعلى الكاغد والعظام والأحجار أوماشابه ذلك « من طعام اخوانكم الجن » ! .. كان لابد من ظهور الورق ، فالكتاب كان حاجة اسلامية ، والورق هو مجرد الابن الشرعي لهذه الحاجة .. مثل النفط عرفه العرب قبل أمريكا بقرون ، ولكن « الطاقة » الأمريكية والغربية ، كانت بحاجة اليه ومن ثم لهم السبق في طرحه عالميا كمصدر للطاقة ..

تقول راى تاناهيل « ان لقاء العقل العربي المبدع مع اكتشاف صينى (الورق) خلق ثورة ثقافية وحضارية في كل تركيبة الغرب (أوروبا) لم يكن بوسع أحد — وقتها — التنبؤ بأبعادها . وقليل من اعترف بها بعد ذلك » .

كذلك الصفر الذى ينسب للهنود ، لم يكن ليأخذ مكانه في التاريخ والعلوم ، لولا التقدم العلمى والحضارى العربي ، الذى جعل الأرقام الرومانية حجر عثرة في سبيل هذا التقدم ، ومستحيلة الاستمرار..

باختصار إن محاولة البعض نسبة المنجزات العلمية والحضارية العربية لجذور غير اسلامية ، محاولة مغرضة فاشلة ، لأن الحضارة الاسلامية مثل غيرها تمثلت ما سبقها من معرفة ، وأفرزتها في صيغة متقدمة وأكثر شمولا وانتشارا وأضافت اليها كما ونوعا .. تقول نفس الكاتبة : « خلال الفترة من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر كانت كل المعرفة الانسانية محصورة في يد المسلمين ، من جند يسابور الى بغداد الى القاهرة الى صقلية الى أسبانيا ، كان يجرى نقل طب اليونان ، والأرقام الهندية (التى ستعرف بالعربية)[٥٣] والتي حلت محل الارقام الرومانية الغبية ، وكانت ثورة في الرياضيات والعلوم ، وكل أوجه الحياة ؛ صناعة الورق الصينية التي غيرت عالم الثقافة والدراسة ، والقوس العربي الذى غير وجه الحرب ، وقائمة ضخمة من السلع المترفة مثل الحرير المشجر ، الزجاج الملون ، المعادن المشغولة ، أوالمكفتة ، السراير ذات البراقع الكلة ـ النامسية السجاد . ألوان جديدة للصباغة ، القباب في فن العمارة . المرايا الزجاجية ، الحمامات العامة ، المستشفيات العلمانية .. والطنبور والطبلة ، وأخيرا الحكايات والأساطير التي ألهمت بوكاسيو وتشوسر ، فون ايسغنباخ وأخيرا لافونتين » .

فالنهضة الأوروبية قامت بالكامل على منجزات بل وحتى خرافات الحضارة الاسلامية ، ولكن عملية التلقي والتلقن ما كانت لتتم بنجاح أوتحدث نهضة حقيقية ، إلاأنها تمت في ظل الحرب العامة ضد الحضارة الاسلامية ، وهكذا أمكن أن يتعلموا منا الطب و يتهمونا بالشعوذة ، ونقلوا عنا الأرقام واتهمونا بالغيبيات والقدر ! وأخذوا عنا الورق ، وتركوا لنا الأمية ، وتعلموا منا الرماية

---

٥٣ ـ اخواننا المغاربة ، ضحية سوء فهم على ما أعتقد في اصرارهم على استخدام الارقام الافرنجية 234 على أساس انها هى العربية لأن اسمها كذلك فى اللغات اللاتينية . ووجه الخطأ ان المقصود هو النظام العشرى فى الترقيم الذى جعل من الممكن كتابه العشرين هكذا ٢٠ وليس xx كما كان فى الأرقام الرومانية أواللاتينية . فهذا هو المقصود بالارقام العربية .. وليس الشكل .

والأسلحة الحديثة باستعمالها ضدنا .. ألبسناهم الحرير وعلمناهم النوم على السرير والاستحمام وتحدثوا عن قذارة العربي .

علمناهم احترام المرأة فملأوا الدنيا بحديث الحريم واللواط عند العرب !

ربما أساءت أوروبا السلوك ، وربما أدانها التاريخ بالعقوق والكذب . إلا أن عذرها ، أنه لايمكن لمفتون أن يقهر التحدى ، ولا حتى أن يتقن نقل التقدم .

وتؤكد تناهيل أن أوروبا « نقلت التقدم المادى من العرب ولكنها رفضت الفكر أو العقيدة » وهذا ما بحت أصواتنا في تلقينه لابنائنا ، فأفسد تفكيرهم عملاء الغرب ، دعاة الانفتاح والزعم بأن التقدم لايكون إلا بنقل العقيدة ..

وفيما يتعلق بالمرأة تقول « تناهيل » انه بالرغم من الحملة على الأخلاق والسلوك العربي ، فإن بعض الأفكار تسربت دون أن يلاحظ أحد ، مما ساعد على تغيير عقل المسيحية ، كما غيرت المنجزات المادية (الاسلامية) وجهها ، وكانت النتائج مذهلة ، فإن أغاني الحب العربية ، التي أفرزها مجتمع لا تزال المرأة فيه حتى اليوم تحتل مركزا تابعا (هذه نقطة ناقشناها في غير هذا المكان وان كنا لاننفي أن المرأة المسلمة المعاصرة لا تتمتع بالحريات ولا المكانة التى كفلها لها الاسلام) هذه الأغاني هي التى كانت المحرك الذى غير نظرة الغرب للمرأة . وهي تقصد هنا ما اتفق عليه المؤرخون ، من أن أغاني الغزل فى المرأة ومايتبع هذا « الغزل » من خلع صفات شاعرية نبيلة سامية عليها ، انما جاءت من أسبانيا عبر جبال البرانس ، فغيرت تماما نظرة أوروبا المسيحية للمرأة ، رفعتها من المرتبة الدنيا التى كانت فيها ، الى مرتبة « اللادى » أو « السيدة » التي ينحنى لها النبلاء و يقاتلون فى سبيل نظرة اليها ، وتطور ذلك الى تحرير المرأة واحترامها . وتضيف إن الذى علم أوروبا المسيحية ، حب مريم العذراء هم شعراء التروبادور تلاميذ العرب .

واذا عدنا للمجتمع العربي ، فسنجد أنه في هذه الفترة بالذات ، شاعت الثقافة اليونانية بين المثقفين المسلمين ، وسيزداد شيوعها ، حتى تصبح ظاهرة عامة ، حتى نجد الشعراء يرددون أسماء الاغريق ، وكأن أرسطو وسقراط والاسكندر وجالينوس من قبيلة بني عبس ، بل ربما أكثر شيوعا . واذا كان يقال ان المترجمين العرب ، لم يترجموا آداب الاغريق ، لما بها من عقائد مخالفة للاسلام ، أو « انحلال » فالأحرى أن نقول إن تراجمهم لم يكثر نسخها ولا انتشرت مثل كتب العلم والفلسفة ، ولكنهم قرأوها وترجموها ، وتداولوها في أوساط الخاصة [٥٤] ومهما اتسعت دائرة المعرفة وديموقراطية المعرفة فلابد من خاصة تتقن لغات أجنبية أكثر ، وتتذوق نوعا خاصا من الثقافات النادرة أوحتى المحرمة أو التى لا تتجاوب مع ذوق العامة . ونستطيع ان نرجع الكثير من الروايات بل والتفاسير والصور الفنية والميول « المنحرفة » الى ثقافات يونانية ورومانية ، حتى اذا لم نجد — اليوم — تراجم هذه الثقافات في المكتبة العربية ، وما أقل ما بقى من هذه المكتبة ، خاصة وأن هذه الكتب هي أول من يصدف عنه القراء وتستغنى عنه المكتبات مع زوال المناخ الحضارى الخاص الذى أفرزه وجذب المثقفين اليه .

فالجاحظ ومن نهج نهجه ، في عقد المقارنة بين الجوارى والغلمان تأثروا بما كتبه الاغريق والرومان [٥٥] والأقوال المنسوبة لأبي نواس بأنه كان مزدوج المزاج ، متأثرة باللغز اليوناني المعروف [٥٦] .

---

٥٤ — وربما أيضا لأن المثقف العربي قد ربى على احترام النص ، فما كان بوسعه أن يزيف النصوص لتتفق مع الأخلاقيات المعلنة ، كما فعل المثقفون الأوروبيون ، ففضل المثقفون العرب عدم نشر أدب الاغريق على تزويره .

٥٥ — انظر كتاب « بلوتراخ » عن الأخلاق (فى مطلع القرن الثاني الميلادى) فقد عقد فيه فصلا عن حوار عاشق الغلمان وعاشق الجوارى . وردت فيه حجج من طراز : « ان زيوس كبير الالهة اخذ معه غلاما وليس امرأة . والمقصود هو الفتى جانيمد الذى يقوم بمهمة الساقي والنديم في الجنة الاغريقية لزيوس هذا » .

٥٦ — وهو لغز من مرحلة الانحلال الحضارى كانوا يتسلون به وهو: « ثلاثة في سرير ولكن أربعة أفعال تتم » ؟! (منشورات كامبريدج ماسوشستس ١٩١٩ — ١٩٢١)

وهارون الرشيد بالذات الذى نعتبره قمة النمو الحضارى الاسلامى ، هو الذى أتهم ابنه الاكبر بعشق الغلمان ، وهو أول خليفة يتهم بذلك في التاريخ الاسلامي وربما كانت هناك مبالغة في الروايات التي ذكرت عنه ، وربما كان الجهاز البرمكي خلفها ، إلا أننا لانستطيع رفضها بالجملة ، وتزعم هذه الروايات أن أمه ، وكانت من شهيرات التاريخ وفضليات النساء ، حاولت مقاومة هذا الاتجاه فيه ، بنفس الاسلوب الذى مازالت تحاوله الأمهات الصالحات فى أمريكا فى القرن العشرين ، وهو لفت انتباهه للفتيات ، ولوبالزامهن بالتزي بزى الغلمان ، وعرفن في التاريخ باسم « غلاميات الأمين »[٥٧] وقيل إنه خسر حربه مع المأمون لأنه كان منشغلا بغلامه « وصيف » في صيد السمك .. وحكايات المغاضبة والمصالحة بينه وبين غلامه ، عديدة ، وستتكرر في سيرة اكثر من خليفة وأمير وشاعر، والغريب أنها وردت دون تحوير أوتبرير في الأدب العربي بل والشعبي بالذات ، ولعدة قرون بعد ذلك ..

واذا كان من المفيد للمهتمين ، عقد مقارنة بين تفشي اللواط كظاهرة حضارية فى الاندلس المسلم ، « وتطهر » أوتزمت المسيحيين فيما تحول الى أسبانيا والبرتغال في فترة سقوط الاندلس ، وذلك لفهم قوانين نشوء وسقوط الحضارات ، على ضوء النظرية التى نطرحها ، إلا أنه من الضرورى التنبيه إلى أن المجتمع المسيحي ، لم يكن أفضل أخلاقا في تلك الفترة ، ولاحتى أقل لوطية من ناحية الممارسة الفعلية . كذلك يجب النظر بتحفظ شديد ، أوبالأحرى الرفض باحتقار لادبيات الحرب الصليبية التى شنت ضد المسلمين والتي حاولت أن تجعل من « اللواط » ظاهرة اسلامية ، وكأنها لم توجد قط ولاعرفت بين المسيحيين فضلا عن الأوروبيين ! تماما كالاعلام المنحط حول ظاهرة العبيد ، وكأن المسلمين

٥٧ــ لاحظ ماأشرنا اليه من اختلاف مقاييس الحضارة في نشوئها وانهيارها ، فبعد التغني بعائشة بنت طلحة التى كانت اذا اغتسلت قائمة لايبتل فخذاها لامن أمام ولامن خلف ، لضخامة بطنها وعجيزتها، وكان يضرب المثل بعجيزة هند ، صار المزاج العام هو « الغلامية القد » !

فقط هم الذين اخترعوا ومارسوا الرق رغم حقيقة وجود عشرين مليون افريقي في أمريكا المسيحية استرقهم ونقلهم وباعهم أوروبيون مسيحيون .. بل وأن نسبة هائلة من هؤلاء العبيد من أصول مسلمة .. ولكن الموقف المسيحي طبيعي ، لأن من قوانين البعث الحضاري ؛ التعصب ، واحتقار المنافس أوالغريم ، وتجريده من كل الفضائل واتهامه بكل مايبرر ابادته .. وفي موضوعنا بالذات نشير الى قصيدة راهبة ألمانية شاعت في القرن العاشر عن « شهيد » مسيحي ، هوفتى عشقه ملك قرطبة المسلم ، ولكن الفتى رفض الاستجابة لغزل الملك ، ورفض قبلته مما أدى الى اعدامه .. والقصيدة ــ كما يفسرها جون بوزول ــ بحق ، لاتعكس رفض اللواط في حذاته ، ولكن رفض الفتى المسيحي أن يمارسه مع مسلم . لأن المسيحي الذى تعمد بالماء المقدس وطيب بزيت المعمودية لايعطي فمه لوثني ، ولايعانق عابد أصنام من طين » [58] . ومدى الصدق في القصة يمكن الحكم عليه « بالدقة » في وصف عقيدة المسلم ! ولكنها على أية حال تعكس تصلب المسيحي وشعوره بالترفع أوالسمو العقائدى ، وهي مؤشرات الصعود الحضاري ، وبالمقابل فإن تهتك الأمير المسلم ، وقبوله المهانة أمام الغلام المسيحي ، وكل الذين عاشوا أحداث القصة ، و« تسامحه » وحبه « للعدو » المسيحي ، هي دلائل الهبوط الحضاري ، لأن الحضارة المسيحية كانت في مسيرة الصعود ، ولو كان القرن العاشر هوقمة التخلف الظاهر .

أما الحضارة الاسلامية فكانت في مرحلة الهبوط ، كل ملوك الطوائف كان شعرهم أحمر من مصاهرة المسيحيات ، ونسبة هائلة من قصص عشق الغلمان تدور حول فتية مسيحيين ، وبعض المسلمين كانوا لايسكرون الا في الدير لمغازلة الشمامسة ، وصغار الرهبان ، و« المؤتمن » « أمير المؤمنين » في « سراقوسة »

---

٥٨ ــ الراهبة اسمها Horswitha والفتى اسمه Pelagrus

كـان مـشـهـورا بـعـشق غلامه المسيحي ، وأحد كبار الشعراء تنصر اكراما لغلامه المسيحى ، وعانق حبيبه أمام المذبح والقس بعد اتمام مراسم التنصير

وذكـر أبـوالحـسين أحمـد بن يحيـى بـن اسـحـاق الرو يدى فى كتاب اللفظ والاصـلاح : أن ابـراهيم بـن سيـار الـنظام رأس المعتزلة مع علوطبقته فى الكلام وتـمـكـنـه وتحكمه فى المعرفة ، « وقع في ماحرم الله عليه بسبب فتى نصراني عشقه ، بـأن وضع له كتابا في تفضيل التثليث على التوحيد فيا غوثاه .. عياذك يارب من تولج الشيطان و وقوع النخذلان » ص ١٣٠

كـلاهمـا فـعـل اللـواط ، ولـكـن الفتى النصرانى اشترى به تعصبه العقائدى وشيخ المعتزله عبر به عن تحلله أوتحرره وانهياره الحضارى .

« وكـنـت أنـظـر الى غـلام نـصـرانى حسن الوجه ، فمر بي أبوعبدالله البلخى فـقـال ايش وقـوفك ؟ فقلت ياعم .. أماترى حسن هذه الصورة .. كيف تعذب بالنار؟ ! »

ذلـك أن الحـضارة الاسلامية كما قلنا كانت في طر يق الأفول ، رغم أنها في قـمـة تـألـقـهـا وازدهارها بل وحتى تفوقها العسكرى الظاهر .. ولكنه كان القصور الذاتي .

فـقـدت الـزخـم الحـضـارى ، فـقـدت البداوة ، الخشونة ، التطهر ، التعصب الحـضـارى المـطـلـوب ، وليس المذموم .. انتقل ذلك الى خصمها بمستو يات أكثر قسوة وخشونة ، وتحيزا وعنصر ية ، وأقل تفهما وانسانية ..

فـاذا عـدنا لحديث المواجهة الحضار ية في موضوع اللواط بالذات ، نجد أنه قد حدث تـبـادل مزدوج وعلى مـراحـل ، فـقـد تـأثرت الحضارة الاسلامية بالتراث الاغـر يـقـى ـ الـرومـانـي فـانتشر اللواط كظاهرة حضار ية ، أوترف حضارى ، وكـدلـيـل على التميز والـسمو على العامة أوالناس « العاديين » ، وفى نفس الوقت

تأثرت أوروبا بالمجتمع الاسلامى المتقدم ، الذى كان بتفوقه الحضارى على جميع الأصعدة ، يشكل المثل الأعلى للنخبة الأوروبية التى أتيحت لها الفرصة للدراسة في الجامعات الاسلامية ، أوزيارة مدن النور الاسلامية ، فتعرفوا على تلك الحضارة الزاهرة والمتفوقة والمترفة في نفس الوقت . .

فإذا كان الجاحظ كما أشرنا تأثر بمحاورات الغلمان والجوارى في التراث الاغريقي ـ الروماني فقد أثر بدوره في الفكر لأوروبى فانتشرت محاورة « هيلين وجاينميد » أوأيهما أقدرعلى امتاع كبيرالآلهة الشبق [٥٩] وأصبح « جاينميد » يتبع الذوق العربي [٦٠] فهويوصف بأن « لحيته لم تنبت بعد » بينما سجل بلوتراك أن سقراط « أحب Alcibiads بعد أن نبتت لحية الفتى » .

واذا كنا نسلم بوجود اللواط كظاهرة حضارية في المجتمع الاسلامي ، والأدب الاسلامي واذا كنا نؤكد المبالغة والتعصب من جانب الفكر المسيحي في اتهام الحضارة الاسلامية باللواط . . وذلك بهدف تعبئة الجماهير المسيحية ضد المسلمين . وأيضا القضاء على هذه الظاهرة في المجتمع المسيحي الصاعد . فإننا أيضا نحب أن نلفت الأنظار الى بعض الملاحظات قبل أن ننتقل الى تطور الموقف المسيحي من اللواط .

١ ـ مبالغة الدراسات الغربية في اكتشاف اللواط ، خلف كل لفتة أوعلاقة بين ذكرين أوأنثيين . . فهم في الغرب ، لايعرفون الصداقة أوالتحاب بدون جنس ، ومازال الناس يستنكرون فى أوروبا وأمريكا ، رؤية ذكرين يمشيان في الطريق وقد تشابكت أيديهما ، فضلا عن لف الذراع حول العنق بالتبادل ، كما

---

٥٩ ـ وصف أحد آلهة الاغريق بأنه كان في حالة انتصاب دائم

٦٠ ـ قال مؤلف « المسيحية واللواط » ان مناظرة هيلين وجاينميد في القرن الثاني عشر متأثرة بألف ليلة أوحكاية « بدور»

يمشي الولدان والبنات في الشرق ، بل إن بعض الأبناء من المشرق ، كان يتحرج من مسك يد أبيه أو معانقته في بلاد الغرب حتى لا يتهمهما الغربيون ! ولذا فالزعم مثلا بوجود علاقة جنسية بين المعتمد والشاعر ابن عمار لمجرد أن « الامير لم يكن يطيق فراقه ساعة واحدة لا في الليل ولا في النهار » [٦١] اتهام لا دليل عليه إلا هذا الشك الغربي أو الذعر الغربي من أية علاقة حميمة بين ذكرين !

٢ ــ وهذا يقودنا الى ملحوظة أخرى وهو ان المجتمع العربي لم يعرف كظاهرة ، اللواط بين الرجال ، [٦٢] ولا في أحلك عصوره ، وهي ظاهرة شائعة في الغرب الآن ، وفي الحضارة الرومانية بالذات [٦٣] أما في الحضارة الاسلامية ، فكانت تدور حول عشق الغلام وهو ما بين البلوغ وظهور اللحية ، التي يعتبر ظهورها نهاية للمرحلة ولا يجوز بعدها مطارحته الهوى ، أو توقع ذلك الفعل منه ولذلك يشكو الشاعر اللوطي :

نبتت لحية شقران [٦٤] حبيب الروح بعدى
حُلقت كيف أتته قبل أن ينجز وعدى

و يتغزل آخر في غلام فيصفه بأنه :
اخضر فوق حجاب الدر عاذره

---

٦١ ــ عن جون بوزول ص ٢٨

٦٢ ــ سجل الجبرتي بارتياع شديد ظهور فرقة من أو باش الامبراطورية العثمانية « يلوطون بالاختيارية » واعتبر ذلك من الفظائع !

٦٣ ــ الاغريق عرفوا عشق الغلام الذى جاوز سن البلوغ ولكن لم يصبح رجلا بعد وهى Pederasty ومن دراسة للمزهريات الجنسية الاغريقية كانت أغلبية صور اللواطة الكبرى المرسومة عليها من نفس السن أى الكبار وهم الذين رسموا فى حالة الوطء ، ولكن الاكثر شيوعا ، هو التفخيذ أو عبث الكبير بعورة غلام جاوز سن البلوغ ، ولكن عند الاغريق أيضا ان الديموقراطية أسسها لوطيان قادا معركة ضد طاغية أثينا فهما كانا قد تجاوزا مرحلة المراهقة بل والشباب ، وفرقة طيبة المقدسة من المحاربين كانت تتكون اساسا من عشاق ومعشوقين على علاقة حب وجنس أى لواط بين مقاتلين وليس غلمان ، واشاد الفلاسفة باللواط بين المحاربين « لانهم عندما يقاتلون جنبا الى جنب لايمكن هزيمتهم لأن العاشق يقبل الموت ولا الاهانة امام معشوقه » .

٦٤ ــ واضح من اسمه انه غلام رومى . . أوربما أوروبى أشقر .

والشارب هو أول ماينبت للغلمان ، والاخضرار هو بداية ظهور اللون قبل أن يشتد و يسود . .

أما الغلام المحترف أوالفاعل . المضطر للبقاء في المرحلة ، فكان يحاول اطالة عمره المهني باخفاء انذارات التقاعد المتمثلة في بداية ظهور شعر اللحية ولذا يقول له مزاحمه أومخاصمة : أأنت تقلع ما الله يزرع ؟ !

فاللواط فى الادب العربى كان يدور حول هذا اللون من العشق لمرحلة معينة في عمر الفتى ، أوالأمرد وهو الوصف الشائع فى الغزل والأدب ، وفي النصوص الناهية والمحذرة من التطلع اليهم لمابهم من فتنة في تلك السن ، لمن به ميل للواط . . ولعل هذا هو سر وعده سبحانه وتعالى للذين يعفون و يكبحون شهواتهم « بولدان مخلدين » . واللفظ المختار شديد التوفيق والتعبير ، أى ولدان خالدى الولدنة ، أى لايتجاوزون تلك المرحلة التى تفتن العربي المصاب بهذا الداء ، بل والتى تثبت الدراسات أنها السن التى تغوى الغالبية العظمى من الذكور الذين سجل لهم ميل لوطي مؤقت فمن قاومها وكبح نفسه عن الفعل ، فله في الجنة ما اشتهى ، تماما كما للشاب العفيف الذى صان نفسه عن الزنا بالفتاة التى اشتهى ، فله في الجنة « حورعين » كلما فض بكارة واحدة عادت بكرا ولوفضها سبعين مرة في الليلة ، فما أحلى البكارة في زمن الخلود الذى تسقط فيه الخبرة ، كذلك من عف نفسه عن الغلام الأمرد فله في الجنة « ولدان مخلدون » أى غلام يبقى أمرد الى الأبد . . وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟ ! ولنا إفاضة .

٣ــ أنها كانت ظاهرة ترف حضارى ، ومن ثم شاعت في الأعمال الفنية ، فلايكاد يخلو ديوان شاعر ابتداء من العصر العباسى الثانى ، ملكا كان أوأميرا أوفقيها أومتأدبا من غزل في غلام ، وليس من المبالغة القول بأن التراث الأدبي العربي في عشق الغلمان يفوق تراث الانسانية مجتمعة حتى النصف الثاني من القرن العشرين بل نقول ان الممارسة اليوم في الغرب أعلى نسبة بدون شك ، كذلك

فـا لـكتابة قد تكون من ناحية الكم أكبر ، وأكثر ابتذالا ، إلا أن الاعمال الفنية التي تسـتـحـق هذه التسمية قليلة جدا بعكس الحال في الحضارة الاسلامية ، حيث تجد المـؤرخ يـورد تـرجمة أحد المشاهير ، و بدون أية رغبة في التشهير أو الادهاش بل بعد أن يشـهد له بالعفة والتقوى والصلاح وطيب السيرة ، يصرعك بقوله : « وله ــ غفر الله لـه ــ في غلام » ثم يورد بضعة أبيات غزل في غلام قد تكون متقنة أو ركيكة حسب مـسـتوى العصر . ولكن ذلك لايعني أنهم مارسوه جميعا ، أوأن نسبة الممارسة كانت بـنـسبة الأقوال الفنية ، ولوأُدين عمر بن أبى ر بيعة بكل بيت قاله بتهمة الزنا لأدمي ظـهره الجلد أولرجم بعد أول قصيدة . . ولما حاول أمير المؤمنين أن يدين شاعراً بشرب الخـمر اسـتنادا الى اجادته وصفها ، رد الشاعر بأن معرفة الخليفة بدقة وصف الشاعر أدعى للشبهة ، فأسقط في يد الخليفة . فالحديث عن الغلمان وعشقهم انما كان وثيقة مـرور الى المجـتـمـع الـثـقـافـي ، و بطاقة عضو ية في نادى الصفوة ، ولذلك لانتصور وقـوع ، ولانـفـهـم استدلال مؤرخ اللواط في المسيحية ، على اباحة اللواط من قصيدة خيالية لابن الفرا ، معلم الصبية في « المر ية » بالأندلس التى يزعم فيها أنه اشتكى غـلامه المتمنع الى قاضي البلدة ، فحكم القاضى بأن الجمال هو للاستمتاع . عندها عـانـق المـعـلـم فتاه[65] بأمر المحكمة عناق اللام للألف . و بلغ من اقتناع الغلام بقرار المحكـمـة أنـه طـلـب مـن الله أن يـغـفـر له خطيئة التمنع . هذه خيالات فكر ية لحضارة غـار بـة ولا تـنـس أن بـقايا مدينة « المر ية » هذه يحملون مفاتيح بيوتهم فى الاندلس الضائع الى اليوم في منفاهم بالمغرب .

وهـذا لـيـس اعتذارا ولا تطييبا لخاطر القارىء المسلم ، فنحن نعتقد أن المجاهرة أخـطـر على المجـتـمـع من الفعل ذاته ، ونعتقد أن الممارسة موجودة فى سائر المجتمعات وفـي جـمـيـع المـراحـل أوحـتـى الـرغـبـة لـكـى لانتهم بـالمـبـالـغـة . ولـكـن

65 ــ و يـقـول الشاعر المصرى الفاسق فى غلام كان يعمل صبيا في محل يملكه رجل اسمه موسى : كفرت بموسى وآمنت بفتاه !

المجاهرة ، ولو « أفلاطونية » هي مؤشر الانهيار الحضارى ، وهى من باب فسوق مترفيها ، فالمهم هو الموقف الحضارى والمناخ الذى تخلقه ، وهذا هو أساس التحريم .. وهى الفاحشة .. وسبحان من اختار لفظة الفسق .. فى حديثه عن انهيار الأمم .. فقال أمرنا مترفيها ففسقوا فيها .. وإليك صورة من فسق مترفيها وانحلال الأمم ، وردت فى كتاب يعد من أبرز المؤلفات الأندلسية : « طوق الحمامة » من تأليف الإمام الفقيه « أبى محمد بن حزم » المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ..

وكان مستقبل الصراع الحضارى فى « أندلسنا » قد حسم لصالح المتخلفين ، لولا هبة « متخلفة » من اللشاطىء الافريقى الإسلامى ، أخرت ابادة المسلمين .

كما كانت الحضارة المسيحية ـ الاوروبية لا تزال بحاجة إلى وقت لتستكمل مؤهلات الوراثة . (ولاحظ وصف منحلي الأندلس لمنقذيهم من الشاطىء الإفريقى بالبربر والمتخلفين .. الخ) .

وهذه بعض نماذج مما ورد فى الكتاب ، بل إليك حكاية تداولتها الكتب عن المؤلف ، وأوردها الناشر فى عام ١٩٦٤ ميلادية بدون تعليق ! !

« مر يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين بمدينة أشبيليه ، فلقيهما شاب حسن الوجه ، فقال أبو محمد (ابن حزم ج) هذه صورة حسنة ، فقال له أبو عمر : لم نر إلا الوجه فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك » فقال ابن حزم ارتجالا :

« وذى عذل فيمن سبانى حسنه .. الخ »

والكتاب وضعه مؤلفه بناء على طلب صديق كلفه أعزه الله بأن يصنف له : « رسالة فى صفة الحب ومعانيه واسبابه وأعراضه وما يقع فيه » .

انتهى عصر الاستفتاء فى الصلاة والإيمان والجهاد ، بل حتى فى الاعتزال والكلام وأصبحوا يكلفون الكتاب بوضع مؤلفات فى الحب ، وهناك بالطبع من ألفوا بناء على « طلب الجمهور » فى أوضاع الجنس .. وقد أحسن ابن حزم إذ حصر كتابه فى مشاهداته ، فلم يستعرض الحب من بدء التاريخ ، ومن ثم كانت فرصته أكبر فى

تقديم شريحة أكبر من حياة مجتمعه ، وأن تكن مجرد شريحة ميكروسكوبية . . كذلك اعترف بتناقض أو تباين سبيل عصره عن سبيل العرب الأقدمين (الذين أورثوهم الأندلس فضيعوها) : « فسبيلهم غير سبيلنا » . .

والكتاب من ثلاثين بابا : فى أصول الحب عشرة ، وفي أعراض الحب اثنا عشر بابا . وفى الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب ، ثم بابان فى قبح المعصية ، والتعفف ! !

هذه حضارة وصلت الى ذروة الترف ، نضجت وتعفنت وآن سقوطها ، خاصة وحفار قبرها يعيش متربصا بينها .

وهذا الكتاب الذى وضعه فى الحب ، تجده يكشف فيه دون قصد عن بعض ثقافته ، فهو يتحدث عن المغناطيس واتفاق أو إتصال جوهره مع جوهر الحديد ، وقوانين الحركة التى تحكم العلاقة بينهما . ثم ينقل عن « أفلاطون » دون أن يعرف قراءه به ، واعيا بأنه أشهر من أن يعرف لقرائه هؤلاء . و ينقل من قراءاته فى السفر الأول من التوراة ، و يستنتج معلومات شائعة ولكن غير مؤكدة عما تسميه العامة بالوحم .. ثم يتفلسف فيورد قصيدة له اشتهرت « بالادراك المتوهم »[٦٦] .. حافلة بالجدلية قبل أن تصل إلى علم « هيجل » الفيلسوف الألمانى فى القرن التاسع عشر .

يقول ابن حزم :

ترى كل ضد به قائما — فكيف تحد اختلاف المعانى

فيأيها الجسم لاذا جهات .. — ويا عرضا ثابتا غير فان

٦٦ــ وهوعنوان من أدب اللامعقول الذى انتشر الآن فى أوروبا .

و يقول : « والأضداد أنداد.. والأشياء اذا أفرطت في غايات تضادها و وقفت فى إنتهاء حدود اختلافها تشابهت » .

و يورد فى شعره مبدأ التثنية المنسوب إلى « مانى » .

و يقدم لنا معلوماته فى علم الضوء ، وهى بالطبع النظرية الخطأ التى سادت فترة طويلة ، عن خروج شعاع من العين يقع على الجسم فيراه . غير أن أخطر ما فى حديثه ــ وإن ضاعت للأسف تفاصيله ــ هو إشارته لوجود رأى مخالف لذلك هو رأى « صالح غلام أبى إسحاق النظام » الذى « خالف فى الإدراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه أحد » ! !

فهل يكون صالح هذا الأب الحقيقى لعلم الضوء الصحيح ؟ ! .. ولاحظ أن هذا العالم فى الضوء الذى « خالف » النظرية السائدة فى عصره هو غلام أبى إسحاق أى عبده .. واستنتج ماشئت عن وضع العبيد فى دولة المسلمين و وضعهم بعد سبعة قرون فى العالم الجديد ! !

وهو يدرك تفوق سرعة الضوء على الصوت ، أو بتعبيره سبق الرؤية على السمع ..

وهو يشرح لنا الفلك و يعرفنا أن الزمان هو حركة المادة فى المكان وهو تعريف حديث جدا ولكن أبا محمد لم يبعد عنه كثيرا عندما قال إن الزمان « إسم موضوع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته وأجرامه »

وتعرف منه أن هناك خلافا بين علماء عصره حول الظل وهل هو متماد أم لا ..

وتعرف أنهم كانوا يعالجون الأمراض النفسية بنجاح ، كما عولجت بنت أحد القواد التى اشتد بها حب زميل لها من أبناء الكتاب .. « إلى أن تدوركت بالعلاج » .

وهو إفراز مجتمع مفتوح ، بل « متحرر» إلى حد التحلل .. تحتل المرأة فيه مكانة خاصة ، وتمارس جميع أوجه الحياة باستثناء القوات المسلحة على الأرجح ، فهو نفسه.

يقول فى ترجمته الشخصية أنه تربى « فى حجور النساء ولم يعرف غيرهن . ولا جالست الرجال إلا وأنا فى حد الشباب » . .

ولنا أن نستنتج أنه يدين بتعليمه الذى ألم بكل فن ، وجعل منه فقيها أديبا ملما بكل معرفة العصر من علم الضوء إلى فلسفة الإغريق ، يدين بهذا كله إلى معلمات من النساء . . ! . . وهو أيضا يعطينا فكرة عن الوظائف التى كانت تمارسها المرأة ، خلال حديثه عن رسولة الغرام ، وليس من باب حصر الوظائف . . ومن ثم ربما كان من حقنا أن نقبل هذا التعداد على سبيل المثال لا الحصر . . فمنهن :

« الطبيبة والحجامة والسراقة والدلالة والماشطة والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصناع فى المغزل والنسيج وما أشبه ذلك » .

وكان الرجال يجلسون مع النساء أو الضيوف مع الرجل وأهله ولا يستنكر ذلك الإمام الفقيه ابن حزم ، بل ولا حتى يحتاج منه إلى تعليق ، وإنما علمنا ذلك من خلال غضبته على التحلل الذى جعل رب البيت يتغاضى عن مغازلة ضيوفه لأهله بل وأكثر من المغازلة ، فليس الاختلاط هو ما يثير شيخنا ، بل « الديوث » كما قال وهو المفرط فى عرضه وعرض أهله وعلنا ! . يقول :

« أذكر أنى كنت فى مجلس اخوان لنا ، عند بعض مياسير أهل بلدنا ، فرأيت بين بعض من حضر و بين من كان بالحضرة أيضا من أهل صاحب المجلس ، أمراً أنكرته وغمزاً استبشعته ، وخلوات الحين بعد الحين ، وصاحب المجلس كالغائب أو النائم ، فنبهته بالتعريض فلم يتنبه ، وحركته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت أكرر عليه بيتين قديمين لعله يفطن وهما هذان :

إن أخوانه المقيمين بالأمــ ـــس أتوا للزنا لا للغناء
قطعوا أمرهم وأنت حمار موقر من بلادة وغباء

وأكثرت من انشادهما ، حتى قال لى صاحب المجلس : قد أمللتنا من سماعهما ، فتفضل بتركهما أو إنشاد غيرهما ، فأمسكت وأنا لا أدرى أغافل هو أم متغافل ؟

ونحن بدورنا لا ندرى أمغفل ابن حزم أم متغافل ؟

وهو مجتمع شديد الثراء مسرف فى الترف والبذخ ، اذ يزعم لنا ابن حزم أنه لم يشهد عاشقين « قط » ـــ وهو مؤرخ العشاق « إلا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعنبر ، مرشوشة بماء الورد ، وقد جمعت فى أصلها بالمصطكى و بالشمع الأبيض المصفى ولفت فى تطار يف الوشى والخز» !

ملوك أور با مجتمعين ، ما كان بطاقتهم هذا الترف الباهظ الثمن ، والشائع فى جميع عشاق الأندلس الذين يعرفهم ابن حزم !

وماذا بعد الترف ، إلا « الفسوق » وماذا بعد الفسوق إلا الانحلال . ثم الملل .

وقد رأينا صورة من التحلل فى حديث الرجل الذى يسمح بمغازلة أهله ، ولكنه يقدم لنا صورة أبشع وكأنه يتحدث عن سان فرنسيسكو فى السبعينيات ، أو الستينيات من هذا القرن ، حيث أصبح الشخص الثالث ، أو الجنس الثلاثى ، أو اللغز الإغريقى ، أو الأسطورة النواسية ، شائعة ، حتى أورد عنها ابن حزم مثالين فى كتابه ، وهو أن يعشق الرجل الفتى ، و يعشق الفتى زوجة الرجل ، والعياذ بالله . .

يحدثنا الإمام الفقيه عما :

« دهم عبيد الله بن يحيى الازدى المعروف بابن الحر يرى ، فإنه رضى باهمال داره وإباحة حريمه والتعر يض بأهله طمعا فى الحصول على بغيته من فتى كان علقه . نعوذ بالله من الضلال . حتى لقد صار المسكين حديثا تعمر به المحافل وتصاغ فيه الأشعار، وهو الذى تسميه العرب الديوث .

وفيه يقول عيسى بن محمد بن محمد الخولانى :

يا جاعلا اخراج حُر نسائه ... شركا لصيد جآذر الغزلان

انى أرى شركا يمزق ثم لا ... تحظى بغير مذلة الحرمان

وقال هو (ابن حزم) فيه :

و يأخذ ميا بإعطاءها ... ألا هكذا فليكن ذو النواهى

و يبدل أرضا تغذى النبات بأرض تحف بشوك العضاه
لقد خاب فى تجره ذو ابتياع مهب الرياح بمجرى المياه

و يزعم أنه سمع هذا الديوث ، فى المسجد الجامع (!) يستعيذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان !! »

هذه صورة لا تحتاج لتعليق . . رجل يسأل الله أن يحميه من « العصمة » ، و يبعد عنه الفضيلة والعفة ، و يديم عليه نعمة الفسوق . . وفى المسجد الجامع وبحيث يسمعه الناس ! .

فحق عليها العذاب . .

أما عن الملل فهاك صورة لا تقل بلاغة وتعبيراً عن : « أبى عامر محمد بن عامر رحمه الله كان شديد الملل . يحب الجارية ثم يملها فى ساعات » حتى أتلف فيما ذكرنا عشرات ألوف الدنانير عددا عظيما . وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض . . وأما حسن وجهه وكمال صورته فشىء تقف الحدود عنه وتكل الأوهام عن وصف أقله ولا يتعاطى أحد وصفه . ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة و يتعمدون الحضور عند باب داره فى الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا فى الجانب الشرقى بقرطبة الى الدرب المتصل بقصر الزاهرة لا لشىء إلا للنظر منه . ولقد مات من محبته جوار ، كن علقن أوهامهن به ، وكان رحمه الله يخبرنى أنه يمل اسمه فضلا عن غير ذلك ، وكان لا يثبت على زى واحد كأبى براقش ، حينا يكون فى ملابس الملوك وحينا فى ملابس الفتاك » .

ولا أظن أن هناك صورة أصدق تعبيرا عن الملل والتعفن الحضارى مثل هذه الصورة التى تذكرنا بأباطرة روما والطبقة الحاكمة فى « بومبى » قبل الزلزال والغزو البربرى . . وسقوط الامبراطورية وانتصار المسيحية . وعندما تصبح الطبقة الحاكمة

فريسة هذا الملل ، فإنها تفقد حتى الرغبة فى الاستمرار ، بل أنها تتمنى فى اللاوعى أن يأتى من يخلصها من هذا الملل بالقضاء على وجودها . الذى أصبحت تمله ، كما يمل أبوعامر اسمه .

وسبب الملل واضح : فى حكاية أبى عامر ، فقد اوتى كل شىء ، فلم يعد يتمنى شيئا ولا يصبر على شىء ، ونفس القاعدة تنطبق على الحضارة ، عندما تصل إلى الاختناق فلا انقلاب تكنولوجى يفتح آفاقا جديدة ولا حاجة فى اطار العصر تفتقدها الأمة ، فيبدأ الترف والانحلال فالملل ... وتحين الفرصة للعدو المحروم الأقل « تمدنا » فيضرب ضربته و يدمر الحضارة الآفلة .

ونعرف من « ابن حزم » أن حماماتهم كانت مزدانة بصور مثيرة تعشق ، فهو يقول لصاحبه الذى يعشق طيفا رآه فى المنام « لوعشقت صورة من صور الحمام لكنت عندى أعذر » .

ولا شك أن القصور وغرف النوم كان بها مثل هذه التصاوير أو أشد . !

ومن دلائل الانحراف الحضارى ، انه هو ووالده لا يحبون إلا « شقراء الشعر » وهى الأوربية ، المسيحية غالبا ، أى الخصم الحضارى المتربص .. والناس على دين ملوكهم فكل « خلفاء بنى مروان ، ولاسيما ولد الناصر منهم كلهم مجبولون على تفضيل الشقرة . وقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا أشقر » .

وهذا التذوق ، لم يكن مسألة شخصية ، ومعاداتها لم تكن عنصرية ، بل عصبية حضارية وقومية . لأن الأمة كانت سمراء سوداء الشعر ، ومن ثم ، فهذا الميل للون خصمها الحضارى من الطبيعى أن يثيرها ، وأن يقلقها ، ولذلك كانت المقاييس العامة لدى الجمهور ضد الشقر و يرد عليهم ابن حزم بلسان الطبقة المترفة التى انفصلت عن جماهيرها وفقدت الإهتمام بالبقاء الحضارى ، منصرفة الى لذاتها الفردية البيولوجية :

يعيبونها عندى بشقرة شعرها
فقلت لهم هذا الذى زانها عندى
يعيبون لون النور والتبر ضلة
لرأى جهول فى الغواية ممتد

ثم يسب اللون الأسود ، وهو لون الأمة ، ولون المغاربة الذين سينقذونهم من يد الأسبان لفترة .

« وأبعد خلق الله من كل حكمة .. مفضل جرم فاحم اللون مُسود »

وابن حزم الذى جمع ثقافة عصره ، خرج شريدا لاجئا بعد أن اجتاح « البربر » مدينته « قرطبة » وكأن تاريخ روما يعيد نفسه ، هو خير نموذج يمكن تقديمه فى قضيتنا هذه . ولذا نجد « عشق المذكر » تفوح أدلته فى كل أرجاء الكتاب ، والحديث عن جمال الذكور يفوق الحديث عن جمال النساء .. بل إن صياغة الكتاب تغلب عليها لهجة التذكير .. وقد يقال إن هذا ضرب من البلاغة ، وان كانت له روايات واضحة التأنيث ، دون صعوبة لغوية .. كذلك لا يمكن تأويل الجنس فى هذه الرواية :

« وأخبرت عن بعض السقاط الوضعاء ، انه كان يضع كتاب « محبوبه » على أحليله »

عبثا نجد مخرجا .. فهذا واحد قطعنا بذكورته بالدليل الملموس .. فلماذا يقول كتاب محبوبه وليس محبوبته ؟!

ألا يجعلنا هذا الأسلوب نشك فى اختيار ابن حزم ، لفظ « الشخص » بدلاً من الفتاة أو الأنثى أو المرأة أو الجارية عندما يتحدث عن نفسه فيقول :

« وما لصق بأجشائى حب قط إلا مع الزمن الطويل . وبعد ملازمة الشخص ، لى دهرا وأخذى معه فى كل جد وهزل » .

أما أن نقول إن « الحب » هنا هو الصداقة ولكن بالتعبير الشرقى ، إذ أن أبا محمد غفر الله له ؛ لم يشأ أن يجنبنا سوء الظن والإثم فما عليه لو قال و بعد ملازمة المرأة أو الفتاة أو الجارية ، أو ماشاء للجزم بأنها أنثى ! فسلم وسلمنا !

وهو يقسم بالله أجل الأقسام أنه ماحل مئزره على فرج حرام قط ولا يحاسبنى ربى بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومى هذا » .

ولا أظن أنه كان بحاجة إلى الزنا « مذ عقل » فالنظام الإسلامى العجيب لا يلجىء شر يفا إلى الزنا أبداً .. ولكننا كنا نتمنى لو وسع دائرة القسم ليطمئن قلبنا .

غير أن الظن لا يغنى عن الحق شيئا .. ولذلك لن نستشهد إلا بالروايات الصريحة التى أوردها « ابن حزم » و يتحمل مسئوليتها أمام التاريخ والله ...

« وأخبرنى بعض إخوانى عن سليمان بن أحمد الشاعر أنه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية ، وذكر أنه كان غاية فى الجمال .. وامرأة خلفه تنظر إليه .. فلما أبعد أتت إلى المكان الذى قد أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلثم الأرض التى فيها أثر رجله » .

و يزعم ابن حزم « ويحكى عن الحسن بن هانىء أنه كان مغرما بحب محمد بن هارون المعروف بابن زبيدة وأحس منه ببعض ذلك فانتهره على ادامة النظر إليه ، فذكر عنه أنه قال إنه كان لا يقدر أن يديم النظر إليه إلا مع غلبة السكر على محمد » .

ويحكى لنا عن فتى من أهل «قرطبة » من أبناء الكتاب وجلة الخدمة من اسمه « أحمد بن فتح » . « من بغاة العلم وطلاب الأدب .. ثم باعدت الأقدار بينى و بينه ، فأول خبر طرأ على بعد نزولى شاطبة أنه خلع عذاره فى حب فتى من أبناء الفنانين يسمى ابراهيم بن أحمد أعرفه (؟!ج) لا تستأهل صفاته محبة من بيته خير وتقدم ، وأموال عريضة و وفر تالد .. » ..

لاحظ نوعية الاعتراض . ولاحظ أن أغلب العاشقين من أبناء « الكتاب » و بغاة العلم والأدب أو الأمراء وهم الطبقة المثقفة . وأغلب المعشوقين من أبناء القواد العسكر ، أو المماليك المجلوبين أو الفنانين .

وحدثنى أبو دلف الوراق عن مسلمة بن أحمد الفيلسوف المعروف بالمرجيطى أنه قال فى المسجد الذى بشرقى مقبرة قريش بقرطبة الموازى لدار الوزير ابن عمر .. فى هذا المسجد كان مقدم بن الأصفر مريضا أيام حداثته لعشق « بعجيب » فتى الوزير ابن عمر المذكور .. وكان يترك الصلاة فى مسجد مسرور وبها كان سكناه ، و يقصد فى الليل والنهار إلى هذا المسجد بسبب « عجيب » حتى أخذه الحرس غير ما مرة فى الليل .. وكان يقعد و ينظر منه إلى أن كان الفتى يغضب و يضجر و يقوم إليه فيوجعه ضربا و يلطم خديه وعينيه ، فيسر بذلك و يقول : هذا والله أقصى أمنيتى والآن قرت عينى » .

وكلما زادت حصة « الفتى » من الحضارة والثقافة ، قل غيظه وتمنعه ، وأصبح أكثر « انفتاحا » وتقبلا لهذا اللون من الحب .. قال ابن حزم :

« حدثنى أبو السرى عمار بن زياد صاحبنا عمن يثق فيه ، ان الكاتب ابن قزمان امتحن بمحبة أسلم بن عبد العزيز أخى الحاجب هاشم بن عبد العزيز ، وكان أسلم غاية فى الجمال ، حتى أضجره لما به وأوقعه فى أسباب المنية إلى أن توفى أسفا ودنفا . قال المخبر : فأخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال : هلا أعلمتنى ؟ فقلت ولم ؟ قال : كنت والله أزيد فى صلته وما أكاد أفارقه ، فما على فى ذلك ضرر . فكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن ، مع حظ من الفقه وافر ، وذا بصارة فى الشعر ، وله شعر جيد ، وله معرفة بالأغانى وتصرفها ، وهو صاحب تآليف فى طرائق غناء زرياب وأخباره . وهو ديوان عجيب جدا . وكان أحسن الناس خَلقا وخُلقا . وهو والد أبى الجعد الذى كان ساكنا بالجانب الغربى من قرطبة » .

ولا أظن أن ابن قزمان قد عشق « أسلم » هذا بعد أن أنتج كل هذا .. وإنما الأرجح أنه كان فى شبابه عندما فتن به . وتأريخ ابن حزم لأسلم بعدما اشتهر وأنجب ابى الجعد . الذى يبدو أنه كان معاصراً وربما كان ابن حزم من سن أبى الجعد هذا المشهور والذى لم يجد ابن حزم حاجة إلى تعريفنا به بأكثر من تحديد مكان مسكنه . !!

وإذا كانت قصص الغرام العفيف أو الرومانسية أو الافلاطونية تحظى بإعجاب ابن حزم ، فهو لا يستنكر إلا الروايات التى ينهار فيها العاشق فيدمر حياته وسمعته قال عن صديق :

« كنا نعرفه كلنا من أهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل .. وقد كنا نتجنب المزاح بحضرته .. قد أحكم القراءات احكاما جيداً ، واختصر كتاب الانبارى فى الوقف والابتداء اختصارا حسنا .. الخ فلم يمض الزمن حتى أمكن الشيطان من نفسه ، فامتحن بهذه البلية مع بعض الغلمان ، فرفض ما كان معتنيا ، و باع أكثر كتبه واستحال استحالة كلية ، نعوذ بالله من الخذلان » .

وابن حزم لم يورد الكثير عن غرامياته ، إلا بضع حكايات واحدة منها التى تعنينا هنا هى « حبه » الشديد وتلازمه فى سنوات الصبا والمراهقة وصدرا من سنوات الشباب لصديق «غلامى » المزاج .. وهذه هى الرواية :

« وكنت أنا وهو متقاربين فى الأسنان ، وكنا أليفين لا نفترق وخدنين لا يجرى الماء بيننا إلا صفاء .. يصفه هكذا : « وكان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثاله ، أو خلق من نفس كل من رآه . لم أشهد له مثلا حسنا وجمالا وخلقا وعفة وتصاونا وأدبا وفهما وحلما و وفاء وسؤددا وطهارة وكرماً ودماثة وحلاوة ولباقة واغضاء وعقلا .. الخ »

وهذه رؤية عين محب واله ..

وصديق الروح هذا طوحت به الأيام بعد سقوط قرطبة ونهب البربر (البدو الأكثر خشونة والأقل حضارة وترفا وانحلالا والذين أنقذوا الأندلس لأكثر من مائتى عام أخرى ولكن الحضارة كلها كانت قد دخلت منحنى الانهيار) المهم صديق الروح هذا يلقى ظلا من الشك على نوعية « المحبة » فقد مات من عشق فتى فى جيش الغزاة !!

وقد سأله المحدث لابن حزم عن سبب نحوله وشحوبه فقال صديق ابن حزم :
« نعم ! أخبرك انى كنت فى باب دارى بقديد الشماسى فى حين دخول على بن حمود ، قرطبة ، والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب فرأيت فى جملتهم فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتى رأيته (نفس عبارات ابن حزم فى وصفه هو .) فغلب على عقلى ، وهام به لبى ، فسألت عنه فقيل لى : هذا فلان بن فلان من سكان جهة كذا ، ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ ، فيئست من رؤيته بعد ذلك ، ولعمرى يا أبابكر لا فارقنى حبه ، أو يوردنى رمسى » فكان كذلك ، وأنا أعرف ذلك الفتى وأدريه ، وقد رأيته ولكنى أضربت عن اسمه لأنه قد مات والتقى كلاهما عند الله عز وجل . عفا الله عن الجميع » .

ونقفز فوق تأكيد « ابن حزم » الذى كان يعيش فترة الارهاب أو التعصب أوالتطهر أو ماشئت التى فرضها البربر فى محاولة لوقف عجلة الإنهيار. وليس يعنينا ان كان أبوعبدالله أو أبومحمد قد ارتكبا الفعل ، فإن الفكر عندنا هو الأهم وهذا المؤلف عاشق أو محب لأبى عبدالله وأبوعبدالله هذا يرى الجيوش زاحفة تقتحم بلده وتنتهب داره وقومه فيذهل عن هذا كله ويخر صاعقا فى عشق جندى من الغزاة . ولا يجد أبومحمد (ابن حزم) فى ذلك مايعيب ، ولكنه يحرص على تأكيد « أن أباعبدالله ماوطىء حراما قط » وذلك بالطبع يبرىء ساحة أصدقاء أبى عبدالله ! . .

وكان أبوعبد الله ذكيا ومخلصا فأعدم كل ماقد يريب حبيب صباه أو يثير فيه الريبة ، فقد قال ابن الحزم :

« انه لما عاد إلى قرطبة ، زار أخاه (أبوعبد الله) وسأل عنه : « ثم سألته عن أشعاره ورسائله ، إذ كان الذى عندى منه قد ذهب بالنهب فى السبب الذى ذكرته فى صدر هذه الحكاية (غزو البربر لقرطبة ج) فأخبرنى عنه أنه لما قربت وفاته وأيقن بحضور المنية ، ولم يشك فى الموت دعا بجميع شعره ، وبكتبى التى كنت خاطبته انا بها ، فقطعها كلها ثم أمر بدفنها ، قال أبوعمر ، فقلت له ياأخى دعها تبقى . فقال لى : إنى أقطعها وأنا أدرى أنى أقطع فيها أدبا كثيراً ، ولكن لو كان أبومحمد بعينى حاضراً لدفعتها إليه تكون عنده تذكرة لمودتى . . » الخ .

وأى مودة من عاشق الجنود ؟!

وكيف كان تجاوب أبى محمد (ابن حزم) مع هذه المودة ؟!

غفر الله لأبى عبد الله هو كان أعلم بما فى الرسائل مما لا يجوز أن تتناقله يد ثالثة ! . .

وفلسفة أبى محمد هى أن الأصل فى الناس « الفسوق » فالصالح منهم من اذا ضبط انضبط . . أما الأصل فهو الإنطلاق فى تلبية الغريزة الجنسية وهو يقرر حقيقة غريبة أنه « ما من رجل عرضت له امرأة جميلة ولم يكن ثم من مانع إلا وقع فى شرك الشيطان واستهوته المعاصى . . وما من إمرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته ، حتما مقضيا ، وحكما نافذا لا محيد عنه البتة » !!

والعياذ بالله !

نعم . . نحن نصدقه ، فى حدود الطبقة التى عاش بينها ، ونقل خبرتها وأخلاقياتها فى عصر انحدارها وزوالها . فهو الكاتب اللاجىء الذى سقطت دولته ومدينته ، وتشرد أهله . . هذه هى الطبقة التى لا تتورع عن شهوة أومعصية . « حتما مقضيا » زوالها « وحكما نافذا لا محيد عنه البتة » « وشىء أصفه لك تراه

عيانا ، وهو أني مارأيت قط امرأة فى مكان تحس أن رجلا يراها أو يسمع حسها ، إلا واحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمعزل »

و يضرب مثلا على « العفة » . عندما كانت لاتزال فى الدولة بقية من المقاومة الحضارية ، تمكنت « الأمير » من مقاومة نفسه بعد جهد عنيف !

قال ابن حزم عن .. عن .. عن أبى العباس : « أن الأمام عبدالرحمن بن الحكم غاب فى بعض غزواته شهورا وثقف القصر بابنه محمد الذى ولى الخلافة بعده ورتبه فى السطح وجعل مبيته ليلا ومقوده نهارا فيه لم يأذن له بالخروج البتة . ورتب معه فى كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتى من أكابر الفتيان يبيتان معه فى السطح . قال أبو العباس : فأقام على ذلك مدة طويلة و بعد عهده بأهله وهو فى سن العشرين أو نحوها ، إلى أن وافق مبيتى فى ليلتى نوبة فتى من أكابر الفتيان ، وكان صغيراً فى سنه وغاية فى حسن وجهه . قال أبوالعباس : فقلت فى نفسى : إنى أخشى الليلة على محمدبن عبدالرحمن الهلاك بُمواقعة المعصية وتزين إبليس وأتباعه له قال : ثم أخذت مضجعى فى السطح الخارج ومحمد فى السطح الداخل المُطل على حرم أمير المؤمنين ، والفتى فى الطرف الثانى القريب من المطلع فظللت أرقبه ولا أغفل وهو يظن أنى قد نمت ولا يشعر باطلاعى عليه . قال : فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعداً ساعة لطيفة ثم تعوّذ من الشيطان ورجع إلى منامه . ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزعه عن نفسه وعاد إلى منامه . ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجليه من السرير و بقى كذلك ساعة ثم نادى الفتى باسمه فأجابه ، فقال له : انزل عن السطح وابق فى الفصيل الذى تحته . فقام الفتى مؤتمراً له . فلما نزل قام محمد وأغلق الباب من داخله وعاد إلى سريره . قال أبوالعباس : فعلمت من ذلك الوقت أن لله فيه مراد خير » .

نعود لأوربا المسيحية . فنجد مؤرخها يقسم الموقف من اللواط إلى المراحل التالية : « حتى القرن الثالث : لامعارضة .. من الثالث للسادس : موجة معادية

من السادس إلى العاشر تجاهل ، من الحادى عشر ومع ظهور المدن انتشر اللواط فى الأدب ، وانتشر اللوطيون فى كل مكان وصارت الموضة المقبولة . من النصف الثانى للقرن الثالث عشر ظهر العداء للواط » .

وقال المؤرخ إنه لا يعرف السبب . وسنقدمه له .

و يقول « من القرن السادس إلى أوائل الحادى عشر كان الشاذون يعاملون نفس معاملة من يمارسون العزل ولكن المناخ تغير بعد ذلك وارتفعت الصيحة تطالب بتطهير الكنيسة أو كما قيل : كيف نتصور وضع مسيحى يعترف بممارسة اللواط طالبا الغفران من نفس القسيس الذى فعلها معه »

وهذا حقا وضع محرج ؟! ولكن اكتشافه فى هذه الفترة بالذات و بعد غفلة ١١ قرنا ، هو موضع السؤال الذى نجيب عليه . .

فحتى القرن الثالث كانت أور با تعيش امتداد الانهيار الحضارى الرومانى الذى قلنا أن الكنيسة دخلت فيه ولم تؤثر عليه إلا نظر يا فى رفض الجنس كله ، كما أشرنا أما فى الفترة من القرن الثالث إلى السادس ، فربما كانت انتفاضة ، أو مع تصاعد خطر ونفوذ البرابرة ، الذين كانوا أكثر تشدداً بحكم تخلفهم الحضارى . . من القرن السابع إلى القرن الحادى عشر ، مرت أور با بفترة الهزيمة الشاملة والعجز حتى عن الاعجاب أو التعلم ، ثم فترة الافتتان والرغبة فى مجاراة الحضارة المتفوقة ، ومن ثم محاولة السلوك المماثل وفى هذه الفترة التى ينعدم فيها الحس الحضارى ، الحس بالتحدى وينعدم فيها المفجر الذاتى فان المفتون حضار يا ، لا ينقل العلوم ولا التكنولوجيا بل السلوك الحضارى ، والجانب المترف منه بالذات ، كما يعود فتياننا ــ اليوم ــ من أور با وأمر يكا بشعر طو يل ، « و بايب » وغو يشة فى اليد ، و بنطلون ضيق ، وشرب الخمر ، والجيرل فيرند ، ولا يستفيدون من التقدم العلمى أو التكنولوجى هناك . ففى القرن العاشر كانت الحضارة الإسلامية فى ذروتها ، وأور با فى ذروة الافتتان والرغبة فى المسايرة .

ومن ثم فقد نقلوا سلوك المترفين . وهذا يفسر انتشار اللواط على النحو الذى أدهش المؤرخ . فنجد شبها بين قصيدة الشاعر ابن الفراء وقصيدة « أسقف ر ينيه » :

« وجـهه حلو.. حتى لتحسبنه بنتا ! شعره يتموج على رقبته العاجية . جبينه أبـيض كالثلج . وعيونه سوداء مثل القار. خده الناعم حلو المذاق . أنفه كامل . شفتاه شعلة حمراء . أسنانه جميلة » .

ولاحـظ أو قـارن بين افـتـتـان الأسـقـف بـغلام أسود العينين ، وافتتان أهل الأنـدلـس الـعـرب ، بـالشعر الأشقر والعيون الزرقاء .. وهذا هو الفناء الحضارى بالخصم بعشق كل صفاته .

وغـلام الأسـقـف مثل غلام المعلم العربى يتمنع : « هذا الولد الجذاب لكل مـن نظـره يـفضل الموت على الخضوع للحب ، خشن كأنه ولد من نمر ، يسخر من غزل المحبين ، يسخر من جهدهم الضائع ، يهزأ بدموع العاشقين »

هذا كلام « الأسقف » . فحدث عن الشماس والراهب ولا حرج !

ولـكـن الحـروب الصليبية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر احتاجت إلى الـتعبئـة الـشـامـلـة فى أورو بـا ، بـقـدر ما أثبتت هذه الحروب ، أن أورو با قد اسـتـجـابت بنجاح للتحدى الحضارى الإسلامى ، فأصبح وعيها به أكبر من وعى المـسلمين ، واصرارها على قهره لا أقول أكبر من وعى المسلمين به فحسب فقد بدا أن الـوعـى مـفـقـود تـمـامـا على الجـانـب الإسـلامى لولا تحرك العثمانيين المتأخر جدا... ولذا كانت المبادرة من الجانب الأوربى ، سواء فى الأندلس أو فى غرب آسـيـا . والـتعبئة المصاحبة للظهور الحضارى تحتاج إلى مفاهيم خلقية خاصة ، منها الـتـقـشـف الجـنـسـى أو الانضباط الجنسى ، وتبنى المقاييس التى تفضى إلى قوة المجـتـمـع ، وفى مـقـدمتهـا رفـض اللـواط ، فهذا الذى وصفه أفضل دارس لتار يخ اللـواط فى الـغرب ، بالإنقلاب غير المفهوم من التسامح إلى التعصب الشديد ، من إبـاحـة اللـواط والـتفاخر به إلى ذمه وتحريمه والتنكيل المروع بمن يمارسه .. ووصل

ذلك إلى ذروته فى القرن الثالث عشر واختفى كل حديث « ودى » أو حتى محايد أو علمى أو فنى عنه إلى القرن العشرين .[٦٧]

غير مفهوم له . لأنه لم يصل إلى التفسير الحضارى الذى نطرحه ، فالتعبئة ضد المسلمين كانت تستلزم الاثارة ضدهم وضد حضارتهم ، بالتركيز على الجانب المسلكى ، جانب الترف ، أو جانب « الانحلال » كما تطلق عليه الحضارة الصاعدة الأكثر خشونة .. فهى لا تستطيع أن تنتقد الجانب المادى أو العلمى ، لأن تفوق ذلك واضح وملموس ولا سبيل للتشكيك فيه ، فلا أحد يستطيع اقناع الشاب المسلم اليوم أن أوروبا متخلفة فى العلم أو المواصلات أو الزراعة ولكن من السهل مهاجمة المجتمع الغربى بأنه منحل فاسق ، لوطى ، زان داعر ، ليس له قيم ولا تقاليد ولا آداب . الخ وهذا ما فعلته روسيا السوفيتية والصين الشيوعية .. ومن قبلهما جميعا ، أوروبا ـــ الصليبية بالنسبة للحضارة المتفوقة ، وقتها .

رسالة امبراطور القسطنطينية الكسيوس إلى حاكم الفلاندر وهى الرسالة التى تحولت إلى منشور وزع فى أوربا لتحريك الحمية لقتال المسلمين ، وأثمرت أول حملة صليبية ، وما أعقبها من حروب دامت لأكثر من قرنين ، هذه الرسالة هى مجموعة أكاذيب تافهة ، ولكنها تركز على التهم الأخلاقية ، فالمسلمون يغتصبون الأمهات أمام البنات ، و يأمرن البنات بالغناء ثم يغتصبن البنات على غناء الأمهات ، « تماما كما قرأنا فى الأسفار ولكن أهم من ذلك أنهم يمارسون اللواط مع جميع الأعمار ، مع الغلمان والرجال ، بل ورجال الدين ، والأساقفة . ياللهول ! هذا ما لم يسمع به بشر .. نعم !! إنهم يلوطون بالأساقفة وقد مات « أسقف » خلال هذا الفعل الشنيع !! »

---

٦٧ ـــ « ما بين ١٢٥٠ ـــ ١٣٠٠ م تحول اللواط من فعل مباح فى كل أوروبا إلى جريمة عقوبتها الموت فى معظم أوروبا ولأول مرة فى تاريخ الغرب » .

ولم يكن من المعقول أن يستباح الافتراء هكذا ، لاثارة الحمية ضد « اللوطيين المنحلين المسلمين » ، ثم تطلق الحرية للنخبة الأوربية ، المغزوة فكريا ، المنحلة ، المتعاطفة ، أو حتى المتخاذلة فى أعماقها أمام الحضارة الإسلامية لقناعتها العلمية ، بتفوق هذه الحضارة ..

أصبح الخطر الذى يواجه أوروبا ، هو الخطر الخارجى ، المتمثل فى الدول الإسلامية ، والخطر الداخلى ، المتمثل فى النخبة المتأثرة بالمسلمين ، أو الأقليات المخالفة للتيار العام الكاثوليكى الذى يشن الحروب الصليبية ، التيار المتعطش لقتال المسلمين وبقدر ما اكتشف هذ التيار ، صلابة وتفوق العدو الإسلامى بقدر ما اشتدت حاجته للوحدة الداخلية ، فاشتدت نقمته على المنشقين فى الداخل . وبذلك طويت صفحة التسامح أو « التحضر » التى سادت فى القرن العاشر والقرن الحادى عشر وفترة من القرن الثانى عشر ، أى فى عصر الانبهار بالحضارة الإسلامية السائدة .. وبدأت تصفية المخالفين ، وظهرت محاكم التفتيش ، وتحكم رجال الدين[٦٨] .. وخضع المجتمع لعقيدة رسمية واحدة ، هى عقيدة السلطة ، تسيره فى اتجاه واحد ، هو مجابهة التحدى الإسلامى ، وتصاعد اتهام المسلمين بارتكاب كل خطيئة جنسية . وأنهم الأصل فى عادة اللواط[٦٩] . ورثوها عن أسلافهم من سكان الشرق الأوسط ، أهل سدوم وعامورا أو قوم لوط[٧٠] « فرغم أنه يسمح لهؤلاء السفلة بأكثر من زوجة فى عقيدتهم ، فإن ذلك لا يكفيهم

٦٨ــ فى القرن الثالث عشر كان يوجد فى بريطانيا رجل دين من بين كل اثنى عشر ذكرا !!

٦٩ــ لاحظ أن البلغار كانوا من أوائل المنشقين على البابا ولذلك اتهموا أيضا باللواط ، حتى أصبح الفعل « لاط » فى اللغات الأوروبية مشتق من بلغار أو Bulgar . ولاحظ أيضا أن أكبر تهمة وجهت من الغزاة الأسبان ضد شعوب أمريكا اللاتينية هى اللواط ، وذلك لتبرير ابادتهم ، وأن الأسبان مجرد منفذين لقضاء الله الذى أباد قوم لوط بنفس النار والكبريت !

٧٠ــ هذا بالرغم من أن التوراة تشهد بفناء قوم لوط فكيف أورثوا المسلمين عادتهم ، ولكن فى الحرب لا أحد يهتم بالصدق أو الموضوعية أو حتى عدم التناقض .

بل يمارسون ذلك الفعل الخبيث مع الرجال ، فلاعجب أن حل غضب الله عليهم ولعنتهم الأرض » (نص من القرن الثالث عشر) . « ان محمدا عدو الطبيعة[٧١]. نشر رذيلة اللواط فى قومه الذين يعتدون ليس فقط على الإناث والذكور بل حتى على الحيوانات ، حتى أصبح معظمهم كالبهائم غارقين فى الشهوة الدنسة ، لا يقدرون على مقاومة خطيئة بل تستعبدهم شهوات الجسد » (من كتاب تاريخ الشرق تأليف Jacaues de Vitry القرن الثالث عشر)

«طبقا لدين المسلمين ، فإن أى فعل جنسى مهما كان ليس فقط مباحا ، بل ومرغوبا فيه ، و يستحسن . ولذا فالى جانب العدد الذى لا يحصى من المومسات يوجد لديهم مأبونون بأعداد هائلة . يحلقون لحاهم . و يصبغون وجوههم و يرتدون ملابس النساء ، و يلبسون أساور فى أيديهم وأرجلهم ، و يضعون سلاسل ذهبية حول أعناقهم كما تفعل النساء ، ويحلون صدورهم بالجوهرات و يبيعون أنفسهم للخطيئة بأن يعهروا و يعرضوا جسدهم ، و يعاشرهم المسلمون كما نعاشر نحن النساء بل وعلانية . والمسيحيون هناك[٧٢] يربون لهم الأولاد المسيحيين ، ويجيدون اطعامهم ليزداد جمالهم ، فإذا رآهم المسلمون الشهوانيون ، فاسدو الطبيعة ، يتحرقون شهوة لهم ، و يتسابقون على شرائهم ، ليتمكنوا من ممارسة شرورهم معهم » .

ولو غيرنا كلمة المسلمين فقط ووضعنا بدلاً منها الأوربيين أو الأمريكيين لأصبح النص يمكن نسبته إلى صحفى مسلم عن الهيبز أوالبانك أو اللوطيين فى امستردام أو بيكاديللى أو القرية فى نيو يورك أو سانت مونيكا فى كاليفورنيا .

---

٧١ ــ التركيز على الطبيعة فى الفكر المسيحى برز بعد الاحتكاك بالمسلمين ، والتأثر بفكرة دين الفطرة وهو تعبير ومفهوم إسلامى . يجعل الفطرة أو الطبيعة هى مقياس الصوابية أو الطهارة عند غياب النص أو التعاليم .

٧٢ــ لاحظ التحريض ضد المسيحيين الوطنيين فى الشرق لتعاونهم مع المسلمين ضد الغزو الصليبى

وهذا يوضح لنا الدورة العجيبة للحضارة، فلايحق للمتفرنجين فى مجتمعنا اليوم أن يغضبوا من الذين لايرون فى الغرب إلاالإنحلال ، ولايرون فى مجتمع مثل المجتمع الأمريكى أو البريطانى ، إلاحفنة الغلمان المتخنثين و يغفلون كافة مظاهر الجدية والاتقان والإبداع !

عفـــــــوا !!

فهذه النظرة « الضيقة » هى التى حررت أوروبا و بنت مجد وقوة الحضارة الغربية .. هذا الخوف من انحلال المسلمين ، من الغزو الفكرى الإسلامى لأوروبا المسيحية . هو الذى مكن أوروبا من نقل كل علوم وتكنولوجيا المسلمين لعزة حضارتها الخاصة[73] ..

وبالمناسبة نقول « للأخلاقيين » الذين يريدون تحرير مجتمعنا و بعث حضارتنا بالأخلاق .. ولايكفون عن تصديع رؤوسنا بالحديث عن الانحلال الجنسي أقول لهم : لاتسيئوا فهم قولى ، أواستخدامه ، **فأوربا لم تتحرربالأخلاق أى أنها لم تبدأ بالتطهربل احتاجت الحرب للتطهر، وأمكنها فرض التطهر، خلال التعبئة العامة ضد المسلمين فلا بد أن يرتبط الموقف الأخلاقى بموقف حضارى أن يكون « القبيح » والعيب هوفعل وسلوك واخلاقيات « العدو» والتخلص من « القبيح » هذا ، هوالطريق إلى النصر على العدو، فنقطة البدء هى الجهاد ، المجابهة المسلحة مع العدوالقومى ، عندها يصبح المقاتلون أكثراستعداداً لسماع « الوعظ » وممارسة المواعظ ..**

فليس حديثى هذا موعظة أخلاقية ، ولاخطبة منبرية ، بل دعوة للمواجهة الحضارية من أجل التحرر من التبعية والفساد . فكل خطب القساوسة ضد

٧٣ــ انظر كتابنا : ودخلت الخيل الأزهر.

اللواط لم تثمر خلال ألف سنة مثلما حدث عندما ربطت هذه الفاحشة بالمسلمين .. أى العدو.. وقال جاكوب الفيرونى (١٣٣٥م) : « ان محمدا علم المسلمين أنه لاخطيئة جنسية حتى فيما هوضد الطبيعة . وسلطان المسلمين له حاشية من خمسمائة شاب أُحضروا للذته من البلطيق واليونان وايطاليا ، و بيعوا فى القاهرة »

« المسلمون ضعاف وشهوانيون ويحبون الجماع مع الذكور» .

« بيتر كانتور» (المتوفى ١١٩٧) شن حملة شعواء على اللوطيين ووصف فعلهم بأنه « الجريمة التى تجأر للسماء طالبة القصاص (يهتز لها عرش الرحمن) وأبدى استياءه لأن الكنيسة لاتطارد مثل هذه الجريمة التى سببت دمار خمس مدن .. فلماذا تقف الكنيسة مكتوفة الأيدى أمام جريمة عاقب الله عليها بمثل هذه الضراوة .. واستجابة لدعوته قرر مؤتمر لاتيران الثالث تحريم المسلمين واليهود والربا واللواط .. » هكذا...

« كل من يمارس هذا الفعل المنافى للطبيعة والذى تسبب فى حلول غضب الرب على خمس مدن فأحرقها بالنار (نزل عليها كبريت ونار فى التوراة) اذا كان كاهنا يعزل أو يرسل إلى دير للتكفير وإذا كان مدنيا سيعاقب بالحرمان و يطرد من الرعية » (من مجموعة المراسيم البابا وية للقرن الثالث عشر)

وفى سنة ١١٠٠ كان من الممكن تعيين اسقف مشهور باللواط ، ولكن فى عام ١٣٠٠ لم تختف فقط الكتابة عن هذا الفعل . بل أصبح مجرد الإشارة إلى وجود ميل لوطى عند أحد الكهنة كافيا لتقديمه للمحاكمة » .

«وابتداء من القرن الرابع عشر لم يكن من الممكن أن يجد اللوطى ملجأ أو تسامحا لافى الكنيسة الغربية ولافى الدول الغربية . وفى نفس الوقت طرد غير

المسيحيين من انجلترا وكان ذلك قد تم فى فرنسا عام ١١٨٢ على يد فيليب أغسطس ملك فرنسا . وأصبح من يمارس الجنس مع غير مسيحى أو مسيحية مثل من ينكح البهائم » وفى عام ١٤٩٢ تم نهائيا القضاء على المسلمين فى أسبانيا أو ماكان يدعى بالأندلس !

وأول مملكة أقامها الصليبيون فى أرض المسلمين بالمشرق ، وهى مملكة « أورشليم » : « سن فيها أول قانون فى تاريخ العالم[٧٤] يعاقب بالحرق حيا من يرتكب جريمة اللواط ، وأصبحت كلمات : خائن ، زنديق ، لوطى ، مترادفات لمعنى واحد » وعلى أنقاض الحضارة العربية الغاربة فى قشتالة فى الأندلس نص قانون المسيحيين المنتصرين : « اذا ثبت ارتكاب الفعل ، على ذكرين يجرى اخصائهما علنا و يعلقان من أقدامهما حتى الموت » (منتصف القرن الثالث عشر) وفى أراغون : « أصبحت معادلة للخيانة وجريمة ضد المجتمع » وقال الفونسو الحكيم : (١٢٥٢ـــ ١٢٨٤) :

« اللواط هو الخطيئة التى يرتكبها الرجال بوطء بعضهم بعضا . وهى ضد الطبيعة و ينتج عنها شرور عديدة فى البلاد التى ترتكب فيها وتغضب الرب ، وتلطخ سمعة الأمة التى تقع فيها . وقد أهلك الله سدوم وعاموره إلا لوطا وأهله الذين لم يرتكبوا هذا الفعل » ومن حق أى شخص اتهام أى أحد بارتكابه فإذا ثبت ذلك يعدم الفاعل والمفعول به » ..

وفى القرن الثالث عشر نص القانون الانجليزى على «أن من يرتكب الجنس مع يهودى أويهودية أو مع حيوان ، أويمارس اللواط يدفن حيا » .

٧٤ـــ المؤلف الأمر يكى الذى نقلنا عنه هذا النص لايعرف أن أبابكر رضى الله عنه أحرق شجاع بن ورقاء الأسدى بالنار « لأنه يؤتى فى دبره كما تؤتى المرأة » !
هم لم يهزمونا لأننا كنا متدينين وهم علمانيون ، بل لأنهم كانوا أكثر تدينا وتطهرا ..

لم تكن « النهضة » الأوروبية تملك القدرة على استئصال الفئة المغزوة حضاريا وفرض الاستبداد والارهاب ومحاكم التفتيش ، وكل ماتراه هذه الفئة من مظاهر الرجعية والتخلف والردة .. الخ .. إلا فى ظل حمى وطنية دينية ، فى ظل « الجهاد » أو الحرب المقدسة ضد أعداء الدين والوطن ، بل حتى أبطال « الحروب الصليبية الذين قاتلوا المسلمين فى بلادهم وتأثروا ، بالحتمية ببعض السلوك والتقدم الحضارى الذى عاشوه فى أرض الجهاد ، حتى هؤلاء ما إن وصلوا إلى أرض الوطن حتى تمت تصفيتهم حتى لايرتفع إلاصوت العداء والتحقير والكراهية للمسلمين وحضارتهم ، حتى أن المؤرخين — اليوم — يبررون التشريعات التى وضعت ضد المسلمين فى أوروبا بأنها كانت « تهدف لحمايتهم من كراهية وغضب الشعب بمنع استفزاز هذه الجماهير بمنظرهم أو تمتعهم بالحرية » وأن اليهود اضطهدوا لأنهم عملاء للمسلمين وخونة » .

وأصبح « محمد عدو المسيح ، العدو الحضارى والقومي والفكرى والنفسى لأوروبا وأصبحت كل رذيلة تنسب للعقيدة الإسلامية وخلق المسلمين وطباعهم » ..

يقول « جون بوزول » : « إن اقتران اللواط (فى الدعاية الصليبية) بألد أعداء أوروبا (المسلمين) زاد من كراهية الجماهير لهذا المسلك وللمتهمين بارتكابه فى أوروبا » ويقول : « فالذين بقوا من الصليبيين فى الأرض المقدسة اتهموا بأنهم « تخنثوا » والذين عادوا اتهموا بأنهم جلبوا معهم العادات القذرة للوثنيين » .

وهذا ما أشرنا إليه عن ضرورة ربط الأخلاق بالمواجهة الحضارية ، وأن التطهر لايتم بالوعظ ولابمجرد اثبات تحريم الفعل المرفوض ، بل بربطه بمسلكية العدو القومي .. أما أن نمدح « فضائل » العدو وندعي محاربته ، أو أن نلعن رذائله ونتعامل معه بل ونحالفه ، فعبث غير مجد .

كـذلـك فـإن اتهام العائدين من الحروب الصليبية ، يماثل اتهام « الرجعيين » اليوم للمهاجر ين إلى أورو با وأمر يكا أو « المتفرنجين » العائدين من هناك !

و يقـول مـؤرخ اللـواط : « آخـر قـصـيـدة قـيلت فى حب الغلمان فى أورو با الـغـر بـية كلها قالها يهودى فى الأندلس فى القرن الثالث عشر وبموته خرس صوت اللوطيين فى أورو با فلم يسمع لعدة قرون حتى القرن الحاضر[٧٥] » .

وضاع الأندلس وغربت شمس الله من الغرب .

وأبـيـد فـرسـان الـهـيـكـل . « وكـانـت أبرز التهم الموجهة لهم هى عدم احترام الصليب واللواط ، وعقد حلف مع الشيطان لعبادة محمد » (و بدأ تصفيتهم فيليب « الـعـادل » مـلـك فـرنـسـا فى أكـتـو بر ١٣٠٧) وقد جرى تعذيبهم حتى الموت . وعـرض رئـيـسـهـم « جاك دى مولاى » ذراعيه المكسورتين المسلوختين ، فلم يتبق منها إلا الـعـظـام وكـذلـك آثـار الـتـعذيب على ظهره وخصيتيه على لجنة التحقيق الـباباو ية التى انخرطت فى البكاء وعجزت عن النطق » (ولكن البابا كان أكثر قـدرة على الـنـطـق فقد أصدر قراراً بحل تنظيم الفرسان ومباركة ما أنزله فيليب بهم عـام ١٣١٢) وقـد اعـتـرف بـعـض المـعـذبين بـأنـهـم أنـكـروا المسيح و بصقوا على الـصـلـيـب » وقـد دعـا رئـيـس الفرسان وهو على دولاب التعذيب وقبل أن يموت فـبـرايـر ١٣١٤ الـبـابا كلمنت والملك فيليب للقاء معه فى محكمة الرب ، وقد مات الـبـابـا بـعـده بـشـهر واحد بالدوسنطار يا ، وهو مرض مذل مهين ، ومات فيليب بمـرض غـامـض لم يـعرف سره إلى اليوم ! كذلك أبيد ال Cathar « المتطهرون » وذهـب سرهم معهم بنفس التهمة انكار المسيح ، والبصق على الصليب ولم يعرف شـىء مـفـيد عن تهمتهم الحقيقية ، إلا فى القرن العشر ين ، وصحيح أنه لا يمكن أن نـعـول كـثـيـرا على محـاضر محـاكـم التفتيش فيما تنسبه لمتهم يحرق حيا ، أو مايثبته

٧٥ــ جون بوزو يل . واليهودى اسمه تادرس أبولافيه !

قسيس ممتلىء رغبة وإيمانا بإدانة المتهم .. ولكن يفهم من الدراسات الحديثة ، أنهم عادوا من الحروب فى المشرق الإسلامى بفكرة مخالفة للمفهوم الكاثوليكى عن المسيح والصلب ..

فليس من المعقول أنهم قالوا : لا يوجد مسيح . بل الأحرى أنهم شكوا فى ألوهيته ، أو حتى أخذوا بمفهوم الكنيسة الشرقية عن انكار بشريته شكوا فى وقوع الصلب . أو على الأقل فى ماينسب للصليب فى حد ذاته من قوة غيبية ، مانزال نرى آثارها إلى اليوم فى قصص دراكيولا ، وقدرة أى قطعتين من الخشب على رد الأرواح الشريرة !

وآخر دراسة تقول أن فرسان الهيكل « من خلال الاتصال بالثقافة الإسلامية تشبعوا بأفكار مخالفة للمسيحية الرومانية التقليدية وكان قادتهم يستخدمون سكرتارين عربا [76] ودرس عدد كبير منهم اللغة العربية فى الأسر وكانوا يتقنونها [77] .

صحيح أن هؤلاء قاتلوا وأثبتوا وطنيتهم ، ولكن هذا لا يشفع لهم ، لأن النهضة الحقيقية تستلزم العداء العقائدى أولا ، لا الوطنى ولا المصلحى ، ولا العقلانى . بل العقائدى الذى لا يقبل الجدل ولا المنطق ولا المصالحة ، ولا الموضوعية .

لقد قتلوا ظلما على يد الأكثر تخلفا ، وربما الأقل تضحية فى الميدان العملى ، ولكن قتلتهم كانوا الممثلين الحقيقيين للوطنية الأوربية للحضارة الأوربية وهم الذين ضمنوا انتصار أوروبا بتخلفهم ورجعيتهم واستبدادهم وتعصبهم .

---

٧٦ ـ حتى وان كان السكرتير العربى فى مركز التابع ظاهريا إلا أن تفوقه الحضارى يجعله يؤثر على الرئيس كما تتحكم « الناني » الأمريكية فى الأسرة العربية أو السكرتيرة الفرنسية فى رجل الاعمال أو السفير العربى .

٧٧ ـ كتاب الدم المقدس والوعاء المقدس

وهـم الـذيـن قتلوا « ادوارد » ملك انجلترا ، هذه القتلة البشعة وغير المستغربة مـن حضارة تميزت بالوحشية مع مخالفيها ، ولكنها دليل قوة الإرادة والتصميم على قـهر الـتحدى ، والإنتصار فلامكان فيها لفسق مترفيها ، وهل يمكن لحضارة من صـنع الـبشر ، ان تـنـتصر على حـضـارة أسمى قيما وأنبل مسلكا ، وأكثر انسانية ، إلا بـالـتعـصـب ؟ وهل يمكن لأية حضارة أن تبعث إلا بالإيمان المطلق من دعاتها بأنها الأطهر والأشرف ؟!

ربمـا يكون ر يتشارد قلب الأسد لوطيا كما يزعمون ، ولكنه عندما شن الحرب الـصـلـيـبية ضد المسلمين ، عندما نفخ فى البوق الحضارى للبعث الأوروبى خلق دون أن يـشعـر وربمـا من حيث لم يرد ، المناخ الذى جعل سلفه « ادوارد الثانى » يمـوت تـلـك الميتة البشعة على يد البرلمان والنبلاء الانجليز ، هو وعشيقه ، فقد قطعوا احليل عشيقه وحرقوه علنا ، وأدخلوا سيخا محميا فى دبر صاحب الجلالة !

وفى الـقـرن الـثـالـث عشر وفى حمـى الحـرب الـصليبية بالسلاح و بالفكر ضد المـسـلـمين ظـهـر تـوماس الأكو ينى الذى وضع القوانين الأخلاقية للمسيحية إلى يـومـنـا هـذا وقـد ظـهـرت فى كـتـابـاتـه وتـفكيره حجج الفقه الإسلامى والمنطق الاغـريقى الذى قرأه فى ترجمات المسلمين ، ولكن فى صيغة مسيحية ، وبمنطلقات مـسـيـحـيـة بـالمفهوم الذى طرحته الكنيسة منذ البداية ، وخاصة عن احتقار المرأة وجـعـلها فى مرتبة أدنى لرجل . فكان يعتبر المرأة أقل من الرجل فى أكثر من ناحية واعـتـبر انجـاب الأنـثـى خـطـأ مـن الـطـبيعة[78] « ففى الظروف العادية يتطلع مني الـرجـل إلى انجـاب ذكـر مـثـلـه ، لأنه يريد المشابهة والكمال . ولكن اذا ماتدخل عـنصر خـطـأ أو نـقـص فى المـنـي ، أو هـبت ريح جنوبية رطبة أثناء الإخصاب

٧٨ــ ص ٣٢٧ تاريخ اللواط فى المسيحية .

جاءت أنثى » وقد شرع توماس الأكويني[79] هذا بأن اللواط هو من الكبائر مثل الاستمناء والجماع مع الحيوانات . والجنس الشهوانى مع الزوجة » !!

ولن نتوقف لحظة واحدة عند تلك الأبحاث والدراسات التى تحاول اثبات أن « العفة » لم تتحقق بتشدد الكنيسة أو بارتفاع صوت الفضيلة من جانب السلطة ولا ماتقدمه هذه الدراسات من أدلة ووثائق عن انتشار البغاء وعن فضائح أخلاقية فى قيادات المجتمع ، الكنسية ، والمدنية ، طوال هذه القرون . نعم نحن لانهتم بذلك ، لأن نظريتنا تقوم حول « القيم » التى تحكم سلوك الجماهير ، المُثل التى تحدد أخلاقيات العامة ، أخلاقيات المجتمع المعلنة . فكما قيل : الدين للخاصة والتدين للعامة ، أو بمعنى أوضح الاختيار يكون للخاصة ، والممارسة على العامة ، المبادىء تحددها القيادة وتحدد التطبيقات المطلوبة من العامة لانجازها .. أو تحقيقها ..

فالمهم هو أن المجتمع المسيحى الأوروبى فرض قيم « التطهر » وخلق حماسة المتطهرين ، وفى مقدمة الممارسات التى يجب أن يتخلص منها مجتمع يريد البعث ، هى اللواط الحضارى .. أما ماتفعله الطبقة الحاكمة خلف جدران القصور والأديرة ، مادام لاينعكس على السلوك العام ، فهو فى هذه اللحظة مسألة شخصية لاتهم إلا الفاعل والمفعول به وحسابهما على الله . ولكن المهم فى دراستنا هذه كما قلنا هو « الفاحشة » التى تؤثر على المجتمع .

٧٩ــ وتجدر الاشارة إلى أن الأكويني هو تلميذ البرتوماغنوس الذى كان مستعربا أى منتميا للثقافة العربية دارسا لها وهو الذى اكتشف دواء للواط يستخرج من رأس الضب ويحرق و يدس رماده فى دبر المأبون فيشفى بأذن ماغنوس هذا . وقال جون بوزول ان Alzabo ترجمة لاتينية للضبع وهو حيوان مشهور فى الفكر اللوطى . ولكننا نعتقد أنها ترجمة للضب . فأهل الجزيرة ينطقون الضاد ظاء .. المهم أنه فى التطور الثقافى الاوربى ظهر جيل المسحوقين العاجزين عن التعلم ، ثم جيل المبهورين المفتونين المكتفين بالتذوق والعيش فى حضارة خصمهم ، ثم جيل المترجمين والمؤلفين بالعربية لكسب الاعتراف العالمى . ثم جيل المتعصبين المعادين الدارسين بعمق أكثر والمفترين بفجور أكبر . الذين أعادوا صياغة العلم العربى ــ الإسلامى بصيغة أوربية ــ مسيحية ، أخفت تماما ملامح العروبة والإسلام . وهؤلاء هم من يعتبرونهم مؤسسى العلم الأوربى .

وإذا كانت المسيحية الصاعدة قد نقلت جل فضائل السلوك الإسلامى ، ورفضت العقيدة ، فإن الحضارة الإسلامية الغاربة ، وقد دب فيها الوهن ، ومالت إلى الجنوح والنعاس ، اقتبست بدورها مسلكية « التخلف » المسيحى ، وأسوأ مافى الحضارة المهزومة . وعلى سبيل المثال ، فإن « الصوفية » فى شكلها المتدهور ، وليس فى بدايتها ، ماهى إلاصورة إسلامية للرهبنة ، وكظاهرة انهيار حضارى عندنا ، فقد اشتهر الصوفية باللواط ، وقصصهم تملأ كل الكتب ، ليس فقط فى الأشعار التى ادعوا أنها ترمز إلى عشق الله سبحانه وتعالى عما يصفون والتى علق عليها ناشر انجليزى بقوله : « يصعب تصور تفكير الصوفى فى الله وهو يتحدث عن شعر الحبيب الجعد وشفتيه الورديتين .. الخ » .

بل ان العلاقة الصوفية تكاد تدور حول الشيخ ومريده ، وغالبا مايكون هذا المريد أمرد . ولأمر ما فالكلمتان من حروف واحدة !

ومازالت حلقات الذكر — فى رأى البعض — مركزاً من مراكز تعارف ونشاط اللوطيين [٨٠] ..

وقد خصص الشيخ الحافظ الإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فى كتابه « تلبيس ابليس » فصلا خاصا عن علاقة المتصوفة « بالأحداث » ورد على أعذارهم بالتالى :

« الذين يدعون أنهم يعشقون الله فى صورة الغلام لأن الله قد حل فيه ! وذكر أبوعبدالله بن حامد من أصحابنا ، أن طائفة من الصوفية ، قالوا أنهم يرون الله عز وجل فى الدنيا . وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ، حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود » .

---

٨٠ — وقد وضع مصرى ماجن صيغة ذكر زعم أنهم يرددونه فى الحلقة يقول : « الواد ده حلو .. خده جانبك » الله حى !

وفكرة حلول الله في جسد آدمي هي فكرة مسيحية لها جذورها الاغريقية ، أما أنه يحل أحيانا في صورة «غلام» يعشق فهي فكرة لوطية اغريقية أصيلة . والغلام الأسود ، امادليل لاعنصرية المسلمين ، ومزاج الصوفى ! .. وأماتشنيعة من الشيخ الحافظ غفر الله له .

القسم الثانى : قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم و يقصدون الفسق ..

وهؤلاء لوطيون فقط بلافلسفة ، وإنما يندسون بين الصوفية ، لإنتشار الغلمان فى حلقات الصوفيين ، ولوجود قابلية لهذه العلاقة بين الصوفيين رجالا ومريدين فى ذلك الوقت الذى يحكى عنه الشيخ ..

القسم الثالث : قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن . ونسبوا إلى الرسول « كذبا » : « ثلاثة تجلو البصر : الخضرة والماء والوجه الحسن »

وقال الشيخ إن الحديث من وضع « أباالبخترى » : « وكان يدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه (لاحظ أنه ابن هارون الرشيد الذى قلنا أن عصره كان بداية الانحدار وهذا ابنه الثانى غير الأكبر الأمين « المتهم ») فقال الرشيد : أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك (؟!) قلت أعيذك بالله ياأمير المؤمنين أن ترمينى بماليس فىّ . وأما إدمان النظر إليه فإن جعفرا الصادق ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ثلاثة يزدن فى قوة النظر .. الخ

وقد أثبت ابن الجوزى بطلان الحديث ، وقال إن الفقهاء يقولون : من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر إليه . وإذا ادعى الانسان أنه لاتثور شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب . وقال سعيد بن المسيب : إذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه» .

القسم الرابع : قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة ، وإنما ننظر نظرة اعتبار فلا يضيرنا النظر وهو محال . وروت شهدة بنت أحمد الابرى أول مؤلفة فى الشذوذ الجنسى فى تاريخ البشرية ، قالت أن « أبا النضر الغنوى ، وكان من المبرزين العابدين ، نظر إلى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت حتى أروى من النظر إليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد الا ماوقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه و يصوبه .. » .

وتمضى القصة ، حتى استوقفه بأسماء الله الحسنى كلها وهى ٩٩ إسماً والغلام « التقى » لا يستطيع رفض طلب يبدأ باسم الله !! فلما فرغت الأسماء وفرغ « العابد » مضى الغلام . فرفع « العابد » رأسه بعد طويل اطراق وهو يبكى فقال : قد ذكرنى هذا بنظرى إليه ، وجها جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه حتى أصير إلى ماأردته من نظرى إلى وجهه الكريم وبهائه العظيم ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحبسنى فى النار» .

ولا تظن أن الصوفى منافق كاذب ، بل يحدث خلط فى عقله بين اشتهاء الغلام وجمال وجهه و بين تدينه وتطلعه إلى الله فيخرج من المعصية إلى الكفر وهذا التناقض الحاد فى عقل ومشاعر الصوفى ، وعدم قدرته على مغالبة عواطفه ، مع خوفه من الإتهام تفسره هذه الحكاية :

« وكنا فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربا بن حسان ، الصوفى ينظر إليه نظراً أنكرته . فقلت له بعد أن قام (الغلام) انك محرم فى شهر محرم فى بلد محرم فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون » فنفى ذلك ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا »

« وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب إليه فى رقعة أنك تحب غلامك التركي ، فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد إليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة » .

وعن أبى الطيب الطبرى « أن هذه الطائفة التى تحب السماع ، أنها تضيف اليه النظر إلى وجه الأمرد ، وربما ز ينته (الأمرد) بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى ، وتزعم أنها تقصد به الازدياد فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع ، وهذه هى النهاية فى متابعة الهوى » .

وقال يوسف بن الحسين « عاهدت الله مائة مرة ألا أصاحب حدثا ، ولكنى فسبخت بفعل قوام القدود وغنج العيون » .

ومن طرائف الباحثة الإسلامية « شهدة » أن أبا الكميت الأندلسى روى : « صحبت رجلا من الصوفية يقال له مهرجان وكان مجوسيا فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاما جميلا لايفارقه ، وكان اذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ماقدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مرارا ، فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم ان الليل قد مضى علىّ سليما لم اقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذى أضمره بقلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت (أى من اشتهاء الفعل مع الغلام) ثم يقول ياليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام . ثم يقول سيدى : انت تجمع بيننا على تقى فلاتفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب . فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع منه هذا القول » ..

ان صدق ؟! أليس لمثله كان وعده ــ سبحانه وتعالى ــ بالولدان المخلدين ؟!

وكان العشق متبادلا .. قال أبوحمزة الصوفي : « رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة ، فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلدا وعظما من الضنا والكمد فقلت له يوما : لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبدا ، فقال كيف أسلوعن رجل أجلّ الله عز وجل وصانني عن نجاسة الفسوق في خلال صحبتي له وخلواتي معه في الليل والنهار »

ان صدق .. ألا يستحقان أن يجمع الله بينهما في الجنة حيث لايسمعان فيها « لغوا ولاتأثيما » ؟ !

وسأل أبوحمزه محمد بن العلاء الدمشقي « وقد رأيته يماشي غلاما وضيئا مدة ثم فارقه ، فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلا واليه مائلا .. ؟ فقال والله لقد فارقته عن غيرقلا ولاملل قلت : ولم فعلت ذلك (السائل موقفه أغرب من المسئول) قال : رأيت قلبي يدعوني إلى أمر إذا خلوت به وقرب مني ، لوأتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك » .

القسم الرابع : نظر وعشق وتاب .. « كنت مع أمية بن الصامت الصوفي . اذ نظر الى غلام فقرأ : « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » تبارك الله فما أعظم ما امتحنني به من نظري الى هذا الغلام ماشبهت نظري اليه إلا بنار وقعت على قصب في يوم ريح فما أبقت ولاتركت .. ثم بكى حتى كاد يقضي نحبه .

وقسم تلاعب به المرض من شده حبه ! .. فقد روت شهدة الكاتبة عن غيرها : « أن عبدالله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم نظر الى غلام حسن في بعض الأسواق فبلي به . وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبا وكان يقف كل يوم في طريقه حتى يراه اذا أقبل واذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا ، وكان لايقدر أن يمشي خطوه فأتيته يوما لأعوده . فقلت ياأبامحمد ماقصتك ، وماهذا الأمر الذى بلغ بك ما أرى ، فقال أمور امتحنني الله

بها فلم أصبر على البلاء فيها ، ولم يكن لى بها طاقة .. ثم بكى .. الخ فانصرفت عنه وأناراحم له لما رأيت به من سوء الحال .. »

« ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عباد الله الى غلام جميل فغشى عليه ، فحمل الى منزله واعتاده السقم حتى أقعد رجليه وكان لايقوم عليهما زمانا طويلا . فكنا نعوده ونسأله عن حاله وأمره ، وكان لايخبرنا بقصته ولاسبب مرضه ، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدا (!!) فهش اليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته . فمازال يعوده حتى قام على رجليه وعاد الى حالته . فسأله الغلام يوما أن يسير معه الى منزله (!!) فأبى أن يفعل ذلك فسألني (أبوحمزه راوى القصة) أن أسأله أن يتحول اليه فسألته فأبى أن يفعل ، فقلت للشيخ ، وما الذى تكره من ذلك ؟ فقال : لست بمعصوم من البلاء ولاآمن من الفتنة ، وأخاف أن يقع علي من الشيطان محنة فتجرى بيني و بينه معصية فأكون من الخاسرين »

وحق للدارسين القول أنه منذ الأغريق ، لم يحدث تسامح وقبول اجتماعى لهذه الظاهرة الافي الحضارة الاسلامية « الآفلة » فالناسك يعشق الغلام ويمرض فى حبه ، والناس يتحدثون بذلك حتى تصل الأخبار للغلام ، فيستجيب لذلك بروح اكثر من متسامحة ، و يزورعاشقه حتى يُشفى ثم لايكتفي بذلك ، بل يعرض عليه « المعاشرة » ، أولا بدعوته الى منزله ، ولاأحديهتم بتفسير موقف عائلة « الغلام » .. وإلا كيف تأتى له المنزل الذى يصلح لاستقبال الصوفي العاشق ؟! .. إلاإذا كان غلاما محترفا ؟! ولكن ماأظن أن صوفيا بصلاح وترفع ابن الاشعث : « وكان من خيار عباد الله » يعشق غلاما مومسا .. فهل كانت أسرة الغلام تفوق « تحضر » عائلات سان فرنسسكو حتى تسمح له بمعاشرة رجل تحت سقف بيت العائلة ؟!

ثم يعرض الغلام الانتقال الى منزل « ابن الاشعث » و يستعين فى ذلك « بأبي حمزة الصوفي » الذى لا يرى فى هذه الوساطة ، « قوادة » ولا مما يشين الرجال فضلا عن الصوفيين .. ولا ما يغضب الله .. بل يسأل الرجل دهشا : « ولماذا ترفض هذا ؟ »

هذا مناخ حضارة آفلة ، لم تعد ترى في ذلك الفعل عيبا ، وان ارتفعت حدة الفقهاء بلعن الفاعل والمفعول فيه ، فقد أصبح صوتهم هو النشاز ، بل يسمع أكثر على الجانب الآخر حيث العدو المتربص ، وحضارته الصاعدة ..

فلا تقولوا هزمنا بسبب الدين ، بل بتخلينا عن الدين ، واندفاعنا في الانحلال الى القاع .. أما الصوفي الكبير فى بلاد فارس الذى ابتلى « بحدث » فقد فعلها معه ، ثم ندم فألقى بنفسه في البحر ومات غرقا ..

وقال ادريس بن ادريس « حضرت بمصر قوم من الصوفية ، ولهم غلام أمرد يغنيهم قال ، فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال له : يا هذا قل لا اله الا الله .. فقالها الغلام فقال الرجل : أقبل الفم الذى قال لا اله الا الله وقبله في فمه ! ! »

القسم السادس : « قوم لم يقصدوا صحبة المردان وانما يتوب الصبى و يتزهد و يصحبهم فيتكرر نظرهم اليه لا عن قصد فيثير في القلب فتنة » .. الخ .

القسم السابع : « قوم علموا أن صحبة المردان والنظر اليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا على ذلك »

وكان الغلمان يتصدون للصوفية استعراضا لجمالهم فقد روى أحدهم : « وقفت على الشبلى في قبة الشعراء فى جامع المنصور ، والناس عليه مجتمعون ، فوقف عليه في الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجها منه و يعرف بابن مسلم (تأمل كيف عرف الراوى أبوصابر الدلال الوجوه الجميلة

في بغداد وترتيبها ، واسم الغلام .. الخ) فقال له (الشبلي) تنح ، فلم يبرح ، فقال له الثانية تنح ياشيطان عنا فلم يبرح ، فقال له في الثالثة : تنح والا والله خرقت كل ماعليك . وكانت عليه ثياب في غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلي :

طرحوا اللحم للبزاة على ذروتي عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لوأرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

ثم استأنف الوعظ في جامع المنصور ! ! وقصة الشبلي حافلة بأدلة الترف والثروة الهائلة التى كانت قد تجمعت في المجتمع الاسلامى ، وأفضت الى فسق مترفيها .. وانحراف «عابديها» . قيل إنه «كان يلبس ثيابا ثمينة ، ثم ينزعها و يضعها على النار . وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار . وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار لكي لايشغله عن ذكر الله . و باع عقارا ففرق ثمنه» .

وهكذا .. تأمر مترفوها ففسقوا فيها فحل عليها الزوال الحضارى .

وأعتقد أنه قدآن الآوان لنلخص « خواطرنا » في الموضوع ؛ فنقول : اننا نقسمه الى موقفين .. السلوك الفردى .. والمسلكية الحضارية . والحالة الفردية ، يهمنا فيها ، بالطبع ، حكم الدين . وعلى ضوء ماقدمناه من آراء حول أسباب ميل الفرد للواط ، نرى أن هذا الفعل موجود ويمكن أن يقع فى كل الظروف والمجتمعات ، كذلك الميل يمكن أن يوجد فى مختلف الطبقات والأفراد والمجتمعات . والفعل — فى رأينا — محرم دينيا ، واذا كانت هناك محاولات في الكنيسة و بين المسيحيين واليهود لاعادة صياغة التوراة . أو« لي » عنق النصوص لتلائم اتجاهات العصر ، وذلك بالبحث عن تفسير غير جنسي لما أصاب قوم « لوط » من انتقام الهى .. خلاف التفسير الشائع والمتوارث ، و يزعم المفسرون الجدد ، أنهم عوقبوا لسوء معاملتهم لابن السبيل ، و يستشهدون على ذلك بأن الانجيل عندما أنذر القدس بمصير أسوأ من « سادوم » لم يكن بسبب فعل جنسي بل لأنها لم تحسن استقبال المسيح ..

ولكن القرآن ، لم يترك مجالا لمثل هذا التلاعب .. فعلى خلاف المنهاج القرآني المعتاد ، وهو تجنب التحديد الملزم في الوقائع التاريخية وتفضيل الكناية في مسائل الجنس ، نجده في قصة لوط قد حدد بصراحة تهمتهم : « يأتون الذكور شهوة » . وقد وردت قصة قوم لوط فى سور: هود والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت والصافات ..

ولـكـن هـذه الـدراسـات تستشهد بالقرآن ، لتعز يز رأيها بأن جريمة قوم لوط ، هي اهانة الضيوف ، فيقولون إنهم توجهوا الى بيت لوط « للتعرف » على الضيوف باعتبارهم غرباء عن المدينة التى حظرت عليه الاتصال بالغرباء أواستقبالهم في بيـتـه ، ربمـا خـوفا من غزوخارجي أومؤامرة يدبرهامعهم ، فأرادوا التعرف عليهم وهذا المقصود بفعل to know[٨١] ولكن التبس على الشراح في القرون التالية لأنه نـفـس الفعل والمستخدم فى « وعرف آدم حواء » فولد لهما كذا ، وعرف آدم حواء مرة ثانية فولد له .. فالفعل هنا يعني الوطء فكأن أهل المدينة لما قالوا لسيدنا لوط نر يـد أن « نـعـرف » ضـيـوفـك .. قالوا نر يد أن نجامعهم .. و يقول أنصار هذا الـرأى إن الـقرآن قال على لسان أهل المدينة : « أولم ننهك عن العالمين » ولا يعقل أن يـكـون سـبـب المـنع جنسيا ، لأن « لوط » هو الوحيد غير الشاذ ، وانما المنع فى هذه الحالة يكون لأسباب سياسية أوأمنية ..

الا أن هـذا الـتـفـسير متهافت .. فمن ناحية ؛ القرآن شديد الوضوح بأن الحوار كان جنسيا وليس أمنيا ، بدليل عرض لوط بناته عليهم ..

« وجـاء قـومـه يهرعـون الـيـه ، ومـن قبل كانوا يعملون السيئات . قال ياقوم هـؤلاء بـنـاتـي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي ، أليس منكم رجل رشيد ؟ قالوا قد علمت مالنا في بناتك من حق ، وانك لتعلم مانر يد » .

والحـديـث عـن طـهـارة البنات ، أوأنهن أطهر يشير الى المعنى الجنسي ولكن الرد بأنهم ليس لهم « من حق » في بناته ، وليس « من أرب » أو« رغبة » يعني أن لهـم « حـقـا » فـي ضـيـوفـه .. فـهـو قول لا يعزز التفسير الجنسى هنا .. ولكن الآيـات الأخـرى تـز يـل الشبهة : « وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال ان هؤلاء ضـيـفـي فـلا تـفـضـحون . واتقوا الله ولا تخزون . قالوا أولم ننهك عن العالمين . قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين . »

٨١ـ وتـقـول احـدى الـدراسـات ان كلمة Yadha (نعرفهم) استخدمت في التوراة ٩٤٣ مرة منها خمس عشرة فقط بمعنى جنسى ، مما يجعل المعنى الآخر هو الاغلب !

واستبشار أهل المدينة ، وعرض البنات « ان كنتم فاعلين » يرجح المعنى الجنسي ، فلو كانت قضية أمن ، لما كان هناك مبرر للاستبشار بل الأحرى ، القلق .. وانما مفهوم السياق أنهم رأوا « ذكورا » في جمال الملائكة ، وغرباء ، أى فيهم طرافة الجديد ، فجاءوا يستبشرون أما « نهيه عن العالمين » فيمكن القول أنه كان يؤلب عليهم الشبان بنصحهم بالاقلاع عن هذه العادة ، فمنعوه من الاتصال بأحد ، « هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين » منطق معروف ومعتاد جدا من الكبار الذين يحاولون اقناع الشاذ جنسيا بأن البنات أفضل . مع ملاحظة أن البشرى قد تكون بمفهوم المخالفة ، فقد ورد في القرآن التبشير بالعذاب في أكثر من موضع . وأيضا جاءت لفظة البشرى وفعلها مقترنة بالإنباء عن غلام أومولود « ذكر » في ١٩ موضعا في القرآن .

والغريب أن رواية التوراة المدسوسة ، قد نسبت الى سيدنا لوط و بناته الصالحات ، والعياذ بالله ، نسبت اليهم فعلا ، أسوأ من أى جريمة ارتكبها قوم لوط . إذزعمت أن بنات لوط (بنتان) خشيتا من فناء العالم بعد هلاك مدينتهما ، فسقتا أباهما لوطا خمرا وجامعها ، وهو لا يعقل من السكر ، وحملتا منه انقاذا للجنس البشرى ! .. مع أن « ابراهيم » كما فى الرواية كان موجودا وكان لديه قومه أوأهله القادرون على الانجاب والاخصاب !

من حق اليهودى والمسيحي أن يشك وأن يشكك في السبب الأخلاقي لدمار مدينة لوط ، مادام كتابه ينسب هذا الفعل للنبي الذى كان السبب في دمار المدينة !

نعود للقول الحق :

لم تترك الآيات القرآنية ــ كما قلنا ــ مجالا للشك أوالغموض أوالتأويل حول مسلكية قوم لوط وما عوقبوا عليه :

«أتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » الشعراء .

ثم « ولوطا اذقال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم **لتأتون الرجال شهوة من دون النساء** بل أنتم قوم تجهلون » .. النمل

« ولوطا إذقال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين ائنكم **لتأتون الرجال** وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر . » العنكبوت .

الحمد لله ! هذه الآية ــ كما ذكرنا ــ تثبت أن الفراعنة لم يرتكبوا هذه الفاحشة ، على الأقل الى زمن لوط وابراهيم .. و بالمناسبة فان « عفة المصر يين » كانت شائعة ومعروفة ، ففي الرواية الكاذبة عن نبى الله ابراهيم عندما جاء الى مصر ، وعرض زوجته ــ فيمازعمت التوراة المحرفة ــ على فرعون باعتبارها أخته .. فغازلها فرعون طبعا ، ولكن لما عرف أنها في عصمة رجل غضب وعاتب ابراهيم على مسلكه الذى كاد أن يجلب على « فرعون » العار .. وهو الزنا بحليلة ضيفه ..

بالطبع القصة لا أساس لها من ناحية الوقائع ، إذ لايمكن أن يكون هذا سلوك نبي ، ولكنها اعتمدت على حقيقة معروفة وقتها وهي عفة فرعون أوالمصر يين ..

فالقرآن شديد الوضوح في تأكيد شذوذ هذه الجماعة ، وأنها كانت تفضل اتيان الذكورعلى النساء ، بل الصدوف عن اتيان النساء .. ويمكن القول أن النص يتحدث عن « الفاعلين » أوالطرف الموجب فى علاقة اللواط فهؤلاء هم الذين « يأتون » وهؤلاء هم الذين يفترض فيهم القدرة والامتناع عن اتيان النساء ، أما الطرف السالب ، فهو « يؤتى » بدلا من النساء .. ولعل ذلك ما جعل بعض الفقهاء يقول بأن المفعول فيه « يغتسل تأدبا » لأنه في رأيهم .. لا يلتذ ولايمنى ، و بالتالى فلا جنابة حقيقية .

غير أن هذا التفسير هو مجرد خاطرة ، لأن الثابت من النص أن المدينة كلها قد دمرت فاعلها ومفعولها رجالها ونساءها .. ومن هنا استنتج المفسرون أن أهل المدينة من النساء كانوا سحاقيات . رغم أن القرآن قد خلا تماما من أية اشارة الى السحاق[٨٢] ، أو الى نساء المدينة ، إلا امرأة لوط التي قدر لها ، أن تكون من الغابرين . ولم يرد في القرآن سبب لذلك .. وقد عرفنا من خلق القرآن العفة في الحديث الا عند الضرورة ، والبعد عن التفاصيل .

واللواط ، هو اذن ، من أبشع الخطايا في الاسلام ، وعقاب الله كما قال الصحابة — عن حق — للقوم الذين يمارسون هذا المنكر كان عقابا شاملا منكلا فقد دمر المدينة وقلبها رأسا على عقب ، وقذفهم بحجارة مسومة .. « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها .. وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » وان كنا لا نرى ما رآه بعض المفسرين ، من أنه كان عقابا فذا لم يعاقب به أحد ، فقد أغرق الله قوم نوح جميعا حتى ابنه ، مع أنهم لم يرتكبوا هذا الفعل ، ودمر وأباد قوم عاد ، وثمود ، لأنهم عقروا الناقة متحدين نبيهم ، كما قذف أصحاب الفيل بنفس الحجارة ..

وان كان لا يفوتنا مغزى الاشارة الى « الفناء الحضارى » للمدينة التي تشيع فيها هذه الفاحشة ، ولعله من « المصادفات العلمية » أن اللواط كما ثبت أخيرا يسبب انتشار مرض خاص يسمى AIDS يقضي على المناعة الطبيعية للجسم ، مما يحتم الموت أمام أى تحد خارجي أو داخلي ، ونظريتنا أن هذه الظاهرة تصاحب أو تسبب فقدان المناعة الحضارية للأمم مما يسهل القضاء عليها ..

٨٢— ولا أعرف المصدر الذى استند اليه الشيخ « سيد سابق » في تفسير الآية بأنها تعنى المساحقات اذ قال « والنساء اللاتي يأتين الفاحشة وهي السحاق الذى تفعله المرأة مع المرأة .. الخ » فى تفسير واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن .. » الآية .. وقال ان « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما .. فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما » جاءت في اللوطيين . ربما من لفظة « الفاحشة » .. ولكن لغويا فإن « اللذان » يمكن ان تكون لذكرين أو لذكر وأنثى .

وقد يقال إن عقر الناقة كان ذنبا قاضيا على قوم صالح ، ولكنه لا يشكل جريمة ولا خطيئة اليوم ، بل إن عقر الناقة أو الجواد في الجهاد من دلائل الايمان ، وهو دفع باطل ، لأن قوم صالح لم يهلكوا بسبب عقر الناقة ولا جاءتهم الناقة ابتداء من عند نبيهم .. بل هم الذين طلبوا آية . فجاءتهم في شكل ناقة ، فعقروها تحديا واستهزاء وامتحانا لمصداقية نبيهم ، ووجود الله وقدرته عليهم . وهذا ما استوجب عقابهم . فهي ناقة مخصوصة في ظروف مخصوصة .. ولكن اتيان الذكور حالة دائمة وقد وصف الله هذا الفعل بأنه من « الخبائث » والفاحشة ، ووصفهم بالفاسقين وقوم السوء والعادين والجاهلين « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين » . وهذه كلها أدلة لا تحتمل الشك في أنه فعل مكروه مبغوض من الله مستنكر بشكل دائم ، مثل الزنا ، والشرك ، وأكل مال اليتيم ، والربا ومنع الماعون ... الخ

وقد أوضحنا رأينا في النتائج الاجتماعية والحضارية لهذه الظاهرة ، فإذا انتقلنا للعقوبة ، وهي موضوع اهتمامنا أساسا بالنسبة للدولة الاسلامية المنشودة .. نقول انه لم يرد في النصوص اشارة الى عقوبة بشرية يوقعها السلطان بالفاعلين مثل ماورد فى الزنا والسرقة والقذف وقطع السبيل .. وليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفيد تطبيق أى حد في مرتكب هذه الفعلة ، وهذا على الأغلب لعدم وصول حالة من هذا النوع الى السلطة الاسلامية في عصر الرسول .. كذلك لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم قرر حكما ولو من الناحية التشريعية ، وكل الأحاديث المنسوبة اليه صلوات الله عليه ، عن أحكام اللواط مطعون في صحتها .. فحديث : « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثا » .. قال عنه الترمذى : « غريب » وحديث « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » أنكروا سنده من عكرمة عن ابن عباس . وقال الحافظ « رواته موثقون إلا أن فيه اختلافا »

وحديث : « سحاق النساء بينهن زنا » قالوا : « إن اسناده لين » وحديث « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله ... والذي يأتي الذكر يعني اللواط قال عنه البخاري : ولايتابع على حديثه أي راو يه محمد بن سلام الخزاعي ، عن أبي هريرة » وحديث « اذا ركب الذكر على الذكر اهتز عرش الرحمن » وصف بأن اسناده « واه لين موضوع » وحديث ابن عباس « ان اللوطي اذا مات من غير توبة فإنه يمسخ في قبره خنز يرا » وصف راو يه بأنه « يروى المناكير» وأحد مصادره « اسماعيل بن أم درهم » : « لايُحتج به » وصنفه ابن الجوزي في الأحاديث الموضوعة .

أما حديث وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، « وكان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره » فقالوا : « لا أصل له . وهو حديث منكر ، فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع »

إلا أن أقوى دليل على أن رسول الله لم يشرع عقوبة في اللواط لا تطبيقا ، ولا بمجرد النص .. أن المسلمين لما فتحوا بلاد فارس والشام وغيرها حيث كانت الحضارات الآفلة ، وفوجئوا بهذا الفعل ، واعتقلوا مرتكبيه ، ولاندري كيف ثبتت الجريمة ، فلم تصلنا تفاصيل ، ولكنها على الأرجح ثبتت بالاعتراف .. عندها بعث الولاة يستفتون كبار الصحابة في المدينة .. ما هي العقوبة ؟ وجلس هؤلاء للاجتهاد . ولو كانت هناك سنة ثابتة لنفذها الولاة في الامصار ، فإن غابت عنهم ، لكتب اليهم الخليفة بها على الفور .. ولكن .. لأن النص غاب .. فلا هو في القرآن ، ولا في السنة .. فقد تبادل كبار الصحابة الرأى تحت تأثير عاملين : حجم الادانة التي وردت في القرآن للفعل .. وماتوسموه ـ عن حق ـ من نتائج خطيرة على مجتمع مجاهد يخوض حرب حياة أو موت ، و يضع أسس حضارة جديدة . وقد قلنا ان اللواط من علامات انهيار الحضارات .. ولذلك جاءت تشر يعاتهم شديدة النكال ، وهو ما كان متوقعا ، فاقترح أبوبكر أن يقتل بالسيف

ثم يحرق ، وقال عمر وعثمان : « يلقى عليه حائط » وقال ابن عباس « يلقى من أعلى بناء في البلد » . ولم يستقر الاجتهاد على ما وصل اليه في عهد أبي بكر ، فقد استمر علماء المسلمين في الاجتهاد ، فقال البغوى الشعبى والزهرى ومالك وأحمد واسحاق : « يرجم » وقال النخعي « لوكان يستقيم لرجم مرتين » ونقلوا عن ابي بكر وعلي وعبدالله بن الزبير وهشام بن عبدالملك : يحرق . أما المتأخرون فقد استقر رأيهم على حد الزنا ، اذ اعتبروها مساوية للزنا .. فقد رأى سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والحسن وقتادة والنخعي والثورى والاوزاعي وأبوطالب والامام يحيى والشافعي أن حدها حد الزنا . أما أبوحنيفة والمؤيد بالله والمرتضى والشافعي فقالوا بالتعزير لأن الفعل ليس بزنا . وزاد أبوحنيفة « لايجلد ولا يرجم » .

وزعم ابن حزم أن أبا بكر ضرب رجلا ضم صبيا حتى أمنى ضربا كان سببا فى موته . وأعجب الامام مالك ـــ فى رواية ابن حزم ـــ بالأمير الذى ضرب غلاما مكن رجلا من تقبيله حتى أمنى الرجل ، ضربه الأمير حتى مات (الصبى) . وان كان ابن حزم علق بالاشارة الى وجود اختلاف حول هذه العقوبات ، وانه ممن يرى « ألا جلد فوق عشرة ، الا فى حد من حدود الله » وملخص اجتهادات الفقهاء يمكن اجمالها في الآتى :

● أن اللواط خطيئة ومعصية منكرة عند الله سبحانه وتعالي من مفهوم الآيات ، ومتضمنا في قوله « ولا يقربون الفواحش » وان لم يرد نص واضح بالتحريم أوتخصيص بالتجنب .. مثل الخمر أوالزنا أوأكل لحم الخنزير .. الخ

● مثل الزنا من الجنايات التي بين العبد وخالقه ، يطلب فيها عدم الفضيحة أواشاعة الفاحشة ، و يستحسن السّتر على فاعلها ، عسى أن يتوب الله عليه ، ولاتستحب الشهادة فيها ، و يستنكر من فاعلها المجاهرة ، ولا ينصح بفضح نفسه بالاعتراف للسلطة أوالحديث عنها ، واذا تاب فإن الله غفور رحيم ..

• كل اشتراطات ثبوت الزنا مطلوبة في اثبات اللواط أى أربعة شهود يرون .. الخ .. ولو شهد ثلاثة وشك الرابع فلم يجزم بأنه رأى المرود في المكحلة مع إنه رأى « أقداما بادية ، وانفاسا عالية ، وأمرا منكراً ... » عندها يجلد الشهود الثلاثة ثمانين جلدة و يطلق سراح المتهم .

• عقوبتها لم يرد فيها نص قرآني ، ولاسنة ثابتة ، ولذا فهى متروكة لتقدير الحاكم . وان صح تفسير « سيد سابق » فهى العزل عن النساء للمساحقة ، و« ايذاء » اللوطي .. وليس القتل من الايذاء ، خاصة وان بقية الآية تأمل للفاعلين في التوبة ، أى الاستمرار على قيد الحياة .. والتعزير لايكون بالرجم ولاالجلد . فهي من ناحية العقوبة ليست كالزنا كما قال الفقهاء ، وللحاكم أن يقدر ظروف المجتمع وظروف المتهمين ويحكم بالتغريب في مستشفى نفسانى أوبالسجن أوبتزويج الفتيان ان كانوا من المراهقين .. أوما تتفتق عنه القريحة التشريعية .

ولاشك ان « اللواط » هو موضوع حديث العهد بالبحث والدراسة ، رغم قدمه كظاهرة ، ومن ثم لانستطيع أن نلم ــ الآن ــ بحكمة المشرع ، عزوجل ، فى عدم فرض عقوبة ، غير أنه يجب أن نشير هنا الى عدة نقاط خطرت لنا ، مجرد خواطر ، نسأل الله عنها السلامة ، فنخرج من السوق كما دخلنا ، فلا نحن نطمع فى أجر ولاأجرين وقد وضحنا اننا لسنا من « المجتهدين » فما لنا في أجورهم من حق ! .

وهذه الخواطر هي :

أنه لا علاقة طردية بين بشاعة الخطيئة ، وشدة استنكارها فى القرآن والخلق الاسلامى ، و بين العقوبة أو الحد المفروض فيها .. فليس فى القرآن ــ مثلا ــ جريمة أبشع من الكفر ولكن لا عقوبة عليها فى الدنيا أو لا حد للكفر . لذا لايجوز

القول بأنه مادام لم تشرع عقوبة للواط ، فهذا يعنى أنها ليست جريمة ، أو ليست فى مستوى الكبائر ! هذا خطأ بالطبع.

كذلك لا يجوز للمشرع أن يتأثر فى تقديره للعقوبة ، بما ورد من وصف لبشاعة الفعل ، وعقاب الله سبحانه وتعالى لقوم لوط .. فالله سبحانه أهلك قوم عاد وثمود لأنهم كفروا بنبيهم ، ولكن لا يحق للمشرع اليوم أن يقضى باعدام أو اهلاك من يكفر بهود أو صالح أو حتى محمد صلوات الله عليه .

الثانية : أن حد الزنا مقترن بالاحصان ، ونحن نرى أن« اللوطى » لا يمكن أن يكتمل فيه شرط الاحصان . إلا اذا فهمنا الاحصان على انه معرفة الفعل بتجربته ..

وقد عرف صاحب الفقه على المذاهب الأربعة الاحصان بأنه « الزواج من امرأة محصنة (!) بعقد صحيح ووطئها فى قبلها ، فمن وطىء امرأة فى دبرها فليس بمحصن ولا هى .. » ولم نفهم كيف تكون المرأة التى سيتزوجها « محصنة » قبل أن يطأها ! .. واذا كان يقصد بالاحصان مجرد تجربة الجنس ، فان شرط الزواج بعقد صحيح غير ذى معنى .. ولذا نعتقد أن الاحصان يرد بمعنيين ، معنى اجتماعى وهو المقصود فى حد القذف ، وإلا لأبيح قذف البكر ! .. ومعنى قانونى نفسانى ، هو شرط من شروط حد الزنا .. وهو معرفة طبيعة الفعل وأبعاده .. فالنبى عندما سأل ماعزا : أتعرف ما الزنا .. قال : فعلت بها فى الحرام ما أفعله بزوجتى فى الحلال أى معرفة أبعاد الفعل .

واذا أخذنا المعنى الثالث المستخدم فى الرواية المنسوبة للامام الشافعى : وهو قوله — فى زعمهم —« من لم يتزوج مصرية فليس بمحصن » . وهذا بالطبع لا فقه ولا حتى جد .. وانما لو قاله فعلى سبيل المزاح ، وتحية لمصر التى استضافته ، وألمعية فى معرفة أن كسب رضاء المرأة يغنى عن سائر الجهود مع السلطة أو المجتمع ..

ولكن المهم هنا ، هو استخدام اللفظ ، فالمعنى المقصود أنه لم تشبع حاجته تماما ..

و بالتالى فلا نستطيع القول باحصان اللوطى لو تزوج ، لأن شهوته لا تنطفىء بالزواج من امرأة ، خاصة اذا كان سلبيا ، وان كان الزواج فى بعض الحالات يساعد على العصمة . كذلك فان مفهوم الرابطة الزوجية لا ينعكس بشكل واضح على علاقة اللواط . ومن ثم ذهبنا الى أن اللوطى لا يمكن أن يكون محصنا ، الا من ناحية واحدة ، وهى خيانة الزوج أو الزوجة اذ يفترض فى الحياة الزوجية ، الاتفاق أو التعاقد على المشاركة الكاملة الجسدية والنفسية . ومن ثم فمن حق الحاكم أن يشدد أكثر فى عقوبة اللوطى المتزوج ..

على أية حال فان هذه الأسئلة تنبع من حقيقة أن الاسلام ادان هذا الفعل أشنع ادانة .. ثم لم يفرض فيه حدا ..

ثم نأتى لهذه الخاطرة .. التى اتردد فى اثباتها ، حتى ليكاد القلم ينكسر ، واليد تشل ، خشية ما قد يثيره قولى ، لولا أننى عاهدت نفسى ألا أكتم خاطرة ، تاركا أمرى لله عز وجل ..

أما هذا الذى أتردد فى كتابته ، فهو تفسير وعده سبحانه وتعالى للمؤمنين بولدان وغلمان فى الجنة «مخلدون» وغاية فى الجمال والنضارة .

وقد ورد ذلك فى ثلاث سور: الطور والواقعة والانسان .. قال سبحانه وتعالى :

« والسابقون السابقون .. أولئك المقربون ، فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة ، متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم **ولدان مخلدون** ، بأكواب وأباريق ، وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون **وحور عين** ، كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما . وأصحاب اليمين ، ما أصحاب اليمين ، فى سدر مخضود ، وطلح منضود وظل

ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن انشاء ، فجعلناهن أبكارا عربا أترابا . لأصحاب اليمين ، ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » (سورة الواقعة)

ولا أظن أن أحدا يستطيع المجادلة فى أن « الولدان » هنا هم غلمان . وأنهم يعرضون فى مجال التنعم والتلذذ . بجمالهم ، كجزاء حسن للمؤمنين ، مثلهم مثل الأباريق والخمر والفاكهة والطير ، وحور العين ، كلها للمتعة بما فيها من حسن ، واذا كان « الولدان » « وحور العين » هما الكائنان العاقلان ، وحور العين ، ثابت فى الأثر وبنص القرآن ، أنهن للاستمتاع الجنسى ، وكل الفرق فى الآية بينهن وبين الولدان ، هو أن حور العين لؤلؤ مكنون والولدان « لؤلؤ منثور » والمفسرون رضى الله عنهم قرروا أن اللؤلؤ المنثور أكثر جمالا من المكنون . وان كان « المكنون » أكثر صيانة ، وأكثر اثارة للخاطر ، الا أن الله سبحانه وتعالى قد آثر هؤلاء الغلمان بالجمالين ، المكنون والمنثور .. فقال عنهم فى سورة الطور « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » .

قال ابن عباس « سرر منسوجة بالذهب ، مرصعة بالدر ، متكئين عليها ، أى حال كونهم مضطجعين على تلك الأسرة ، شأن المنعمين المترفين » (لاحظ اقتران « الولدان » والتمتع بهم دائما مع الترف الشديد) متقابلين أى ، وجوه بعضهم الى بعض ، ليس أحد وراء أحد ، وهذا أدخل فى السرور ، وأكمل فى آداب الجلوس . يدور عليهم للخدمة أطفال (نعترض هنا فالله سبحانه وتعالى يقول ولدان وغلمان والولد أو الغلام غير الطفل) فى نضارة الصبا لا يموتون ولا يهرمون . قال ابو حيان . وصفوا بالخلد ، وان كان كل من فى الجنة مخلدا ليدل على أنهم يبقون دائما فى سن الولدان (الولدنه كما يقول الشوام واللبنانيون ج) لا يتحولون ولا يكبرون ، كما وصفهم جل وعلا »[83]

٨٣ـــ صفوة التفاسير . محمد على الصابونى عن البحر المحيط .

وفى سورة « الانسان » وتأمل حكمة اسم الآية ! ..

« وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ، و يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب قواريرا . قواريرا من فضة قدروها تقديرا . و يسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا ، و يطوف عليهم **ولدان مخلدون** إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا . واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا . عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا . ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا »

قال المفسرون : مضطجعون على الأسرة المزينة بفاخر الثياب والستور، وانما خصهم بهذه الحالة لأنها أتم حالات التنعم . « أى غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين (مخلدون) أى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء . قال القرطبى اى باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة ، والغضاضة والحسن ، لا يهرمون ولا يتغيرون و يكونون على سن واحدة على مر الأزمنة (تفسير القرطبى) اذا نظرتهم منتشرين فى الجنة لخدمة أهلها ، خلتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم كأنهم اللؤلؤ المنثور. وقال الرازى هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن فى المنظر لوقوع بعضه على بعض فيكون أروع وأبدع » [٨٤]

واذا كان ابن عباس رضى الله عنه ، فى صدر الاسلام ، ومناخ الطهارة ، قد فسرهم بأنهم أطفال فان المفسرين فى العصور المتقدمة ، ومع تطور المعرفة بالنفس البشرية ، وظهور هذا الميل ، ركزوا على اللفظ القرآنى وهو: ولدان ، أو غلمان كما قال القرطبى . فاننا نضيف اليوم ان هذه السورة نزلت فى هؤلاء الذين ابتلاهم الله فصبروا وعفّوا ، الذين قالوا على لسان الله سبحانه وتعالى فى مطلع الآية :

٨٤ــ التفسير الكبير.

« إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا » ... الخ الآية التى أوردناها ..

أما فى سورة « الطور » فقال جل وعز من قائل : « متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم **بحور عين** . والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين .. وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها **ولا تأثيم** و يطوف عليهم **غلمان لهم** كأنهم لؤلؤ مكنون ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين . فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم . إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم . فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » .

من سرد الآيات ، نلاحظ أن أهل هذا النعيم فيها لهم صفات خاصة ، هى الترف الشديد ، ولبس الحريز والأساور .. وهى صفات هذه الفئة ، ونلاحظ أن كلمة « تأثيم » وردت مرتين فى القرآن فقط . والمرتان وردتا فى الحديث عن هؤلاء المستمتعين بالولدان أو الغلمان .. ولا مجال للحديث فى الجنة عن الاثم أو التعرض للتأثيم من الجماعةم الا فى هذه المتعة ، التى مهما قيل عن الجنة ، يظل فى نفس البعض شعور بالحرج منها ، ورغبة فى تأثيم فاعلها ، ولذلك طمأنهم العزيز الحكيم أنهم لن يسمعوا فيها لغوا ولا تأثيما .

بل من حقنا أن نفسر قوله تعالى « غلمان لهم » بأنهم غلمانهم فى الدنيا ، الذين عفّوا ، وتأثموا ، وصانوهم هم عن الفاحشة فاجتمعوا فى الجنة ، فى خلود دائم للحظة الرغبة التى كبحت بالتدين .

وقد أشرنا ، كما وافق المفسرون ، على أن الحكمة فى النص على الخلود ، هى تأكيد مصدر المتعة فى هؤلاء الغلمان لمن يشتهيهم ، ودوامها بعكس ما فى الدنيا من زوال الفتنة بدخول الغلام سن الرجولة .. ففى الجنة « لن تنبت لحية شقران »

أبدا حتى ينجز وعده لمن أشفق فى أهله ، وخاف من ربه يوما عبوسا قمطريرا . فوقاه ربه شر هذا اليوم ، وجزاه « بما صبر» جنة وحريرا والولدان المخلدين ، مع ثياب سندس واستبرق وأساور من فضة .. أى هيبين أو بانك .. الخ مايشاء مما اشتهى فى الدنيا ، وحرم نفسه مخافة ربه .وربما يسهل الأمر علينا لو فهمنا هذه الحقائق :

● من الخطأ تقييم الحياة الأخرى بمقاييس وأحكام هذه الحياة التى نعيشها فهذه دار العمل الصالح والطالح ، دار المحاسبة ، دار الفناء ، دار التعامل مع النفس والناس بما يفيد و يضر .. أما هناك فدار الجزاء فقط ، مامن عمل هناك يفيد أو يضر ، ولا من عمل يحاسب عليه الانسان ، دار « الخلود » المطلق ، وهى كلمة مهما حاول الفاني أن يتصورها أو يقربها الى مفهومه ، فلا يمكن أن يحيط بأبعاد الخلود ، انه تعبير لايمكن فهم بعضه الا بنسبته الى ضده ! ..

ولا شك أن ممارسة الخلود ستخلق قيمها ومقاييسها ، كذلك لايوجد فى الجنة أو النار شر ولا خير .. لأن الشر والخير هو بما يعود عليك أى بنتيجة العمل ، وهذه غير متاحة فى عالم الخلود ، فلا شيء يضرك ولا تستطيع الاضرار باحد ، فكيف يكون الفعل شريرا ؟ ! . و بالتالى فلا خير وانما هناك لذيذ وألذ ..

● كل المحرمات فى هذه الأرض تسقط فى الآخرة ، فقد وعدنا بالخمر وان كانت أفضل من خمر هذه الأرض فهى لاتسبب صداعا ولا عطشا .. وحور العين بلا عدد ، ولا أظن أن هناك سببا مثل اختلاط الانساب أو الأمراض أو الفاحشة ... الخ يبرر تحريم التمتع بهن على نحو يختلف عما فى دار الفناء هذه .. كذلك نظن أن هذا التمتع ليس بقاصر على المؤمنين من الرجال وحدهم !

● ان اللواط كما شرحنا ، و بالذات عشق الغلام الأمرد ، فى رأى بعض الدراسات ، هو مرحلة فى حياة الكثيرين ، رغم ارادتهم ، وقد « تثبت » فى ذوق البعض إلى مابعد مرحلة المراهقة . و يعتقد الأطباء أن نسبة من الذكور تولد ولديها ميل قوى نحو الجنس المماثل .. ولكن الانسان لا يفترض فيه ــ من وجهة

نظر الأديان ـ أن يخضع لشهوته أو حتى لغريزته والا فان كل انسان تشاجر أو اختصم تمنى بحكم الغريزة لو اطبق على عنق غريمه وقصمه ، كما يفعل النمر فى البقرة .. وما من رجل لم تحدثه نفسه ـ ولو مرة ـ بمضاجعة امرأة جميلة اثارت خياله ، وكثيرون يتمنون لو أنهم استطاعوا نقل البنك الأهلى الى ملكيتهم لولا خوفهم من القانون ، فما هو غريزى لا يعنى أنه مشروع أو محتوم . وما ميزة الانسان على الحيوان والملائكة الا قدرته فى ضبط غرائزه ..

فالذى كبح شهوته ، وصان عفته ، وحفظ فرجه ، ألا يستحق الجزاء ؟ ! وما الجزاء إلا أن ينال فى الجنة ما اشتهى وافضل ؟ ..

فكما أن « حور العين » جزاء من اشتهى الزنا ولم يقرب به من خشية الله ، فكذلك « الولدان » جزاء من اشتهى وعف ..

والله أعلم ! ..

● اما عن الجانب الحضارى ، فقد وضحنا انها ظاهرة لا يمكن أن توجد ولا يمكن أن يسمح بها فى مرحلة التحدى الحضارى ، فى مرحلة تحرر الأمم و بناء حضارتها ، فالخصائص والمقاييس المطلوبة فى فتيان الفراش ، غير خصائص المجاهدين وفتية التحرير والاستشهاد .. ولا أهمية للامثلة الشاذة ، فنحن نتحدث عن مقاييس وعلاقات ومفاهيم .. واللواط كفاحشة أو كمسلك حضارى لا يمكن أن يستقيم مع احتياجات ومواصفات حركة تحرير أو بعث ..

فالعفة مطلوبة ، وجزاؤها التحرر والقوة فى الدنيا .. والجنة ونعيمها بحورها و ولدانها أو ما شئت مما لا عين رأت ولا اذن سمعت .. فى الآخرة ..

ان شاء الله ..

الفهرس

رقم الايداع ٣٥٥٨/٨٤

هذا الكتاب



٢٠٠ قرش